العدد الثاني السنة الثانية عشرة

ع ح
٢١٩٢ ح
٥٧

الكلية العربية

مجلة تصدرها الكلية العربية اربع مرات السنة

قيمة اشتراكها السنوي ٢٥٠

مطبعة مرآة الشرق — القدس

٤ع
٤١٩٢/٤

الكلية العربية

العدد الثاني في ١٥ آذار سنة ١٩٣٢ الموافق ٨ ذي القعدة الهجري سنة ١٣٥٠

مشكلة تدريب المعلمين

في اوروبا

نقتطف هذا المقال من خطاب للاستاذ وليم رسل عميد كلية المعلمين في جامعة كولومبيا ، والخطاب يشير الى النزعات الحديثة في تدريب المعلمين في اوروبا فنلفت اليه الانظار :

كانت الحكومات في اوروبا تتبع نظاماً مزدوجاً في التعليم قبل نشوء الديموقراطية ، وانتشار الاشتراكية . فكان اولاد الشعب يذهبون الى (Volksschule) مدارس الشعب في المانيا أو (L'Ecole Primaire) المدرسة الابتدائية في فرنسا ، أو ما اشبه ذلك من مدارس الشعب ، وكان هؤلاء يعدون لحياة العمل أو الزراعة ، في حين كان ابناء وبنات الطبقات العليا يذهبون الى الجمنازيوم في المانيا او الليسه التي كانت تعدهم الى دخول الجامعات او المعاهد الفنية الراقية ، فيخرجون من هذه المعاهد وقد اصبحوا صالحين للخدمة العامة في الحكومة او مجهزين بمهنة شريفة حرة . ومع انه كان هناك بعض المعاهد المتوسطة بين هذين النظامين فما لاريب فيه ان الاكثرية العظمى من الشعب كانت تكتفي بتعليم بسيط يشذ عنها فئة قليلة .

وهذا النظام المزدوج يختلف عن النظام الاميركي . فقد كانت مدارس

المكتبة الاقصى ١٣٤١ ESTABLISHED 1922 LIBRARY ...

الشعب في اوروبا قريبة من حياة الشعب وكانت تجهيزاتها بسيطة ، ولم تكن فيها وسائل الرفاهية ، بل كانت المدرسة اشبه ببيت العامل او الفلاح . ولم تكن حالة المعلم تختلف عن حالة المدرسة . فكان المعلم يظهر كالفلاح ، ويرتدي البسة الفلاح ويتغذى بطعام الفلاح . بل هو فلاح في الحقيقة وعضو من الهيئة التي يعيش بينها وهو احد قوادها .

اما مدارس الطبقات الراقية ، المعروفة بالمدارس الثانوية ، فقد كانت مختلفة عن هذه كل الاختلاف . وكان عددها قليلا وكانت توجد في المدن العظيمة ، يستفيد منها ابناء الطبقات الغنية او الراقية . وكانت هذه المدارس داخلية في اكثر الاحيان . وبناياتها فخمة ومجهزة تجهيزا جيداً . بل ان هذه المدارس تختلف عن مدارس الشعب على قدر ما تختلف بيوت آباء الطلاب فيها عن بيوت الفلاحين .

ومع أن الطلاب حتى السن الرابعة عشرة يوجدون في هذين النوعين من المدارس الا ان الزائر يميز بينهما بسهولة . فالمدرسة الاولى بسيطة اما الثانية فمزخرفة . والاولى لا يدفع الطلاب فيها رسوما اما الثانية فيدفعون . وتنتهي الدراسة في مدرسة الشعب في سنوات قليلة ، في حين ان المدرسة الثانوية تعد للجامعة . وتتلاءم الدروس في الاولى مع مقدرة الطلاب المتوسطين في الذكاء ، في حين ان الثانية مختصة بالمتفوقين . ومعلمو المدارس الثانوية يطلق عليهم لقب « بروفسور » ولهذا فلا علاقة لهم بمعلمي المدارس الابتدائية المعروفين بال Lehrer في المانيا وال Instituteurs في فرنسا . ولكل من هذين النوعين من المدرسين حلقات خاصة مستقلة يجتمعون فيها ، فالاوائل ينضمون الى جماعات العمال في حين ان الثانين يعتبرون انفسهم من اصحاب المهن الحرة .

النظام الثنائي المتوازي في تدريب المعلمين

ان التمييز بين انواع المدارس لم يكن امراً جاء بالصدفة ، بل هو نتيجة تقسيم الشعب الى طبقات معلومة . ولذلك لم يكن الفرق بين الطبقتين من المعلمين امراً عرضياً . فهذا كان نتيجة التدريب المختلف للجماعتين . فقد كان الولد الفلاح الذكي بعد أن يمتاز في مدرسة الشعب ، يسعى لان يصبح معلماً في مدرسة الشعب . فاذا اجتاز فحص المسابقة ، فقد يختار لان يدخل مدرسة المعلمين . وكما يختار الاولاد فيدربون ضباطاً على حساب الدولة كذلك كانت الحالة في اوروبا في تدريب المعلمين ، فقد كانوا يعفون هؤلاء الطلبة من رسوم التعليم والاكل والعناية الطبية . فكانت مدرسة دار المعلمين كمدرسة الشعب بل كبيت الفلاح او العامل . وكان الطالب يجد فيها ذات البناء ، وذات الاكل وذات الفراش الخشن وذات وسائل التدفئة التي يجدها في بيته . وكان الطالب يمرن على تعليم الصفوف في مدرسة القرية ، بحيث يعد لان يعيش عيشة بسيطة فقيرة ولم يكن يسعى لان يتخلص من هذه الحياة بل لم يكن في استطاعته أن يجتاز مايوضع امامه من الحواجز وكان باب الرقي امامه مغلقاً . ولو رأى الاميركي احد دور المعلمين هذه لرجع متأثراً ، لانها معاهد فقيرة بسيطة ، كل ما فيها يدل على الفقر والبساطة . هذه هي المعاهد التي كانت تعد المعلمين لمدارس الشعب الفقيرة .

اما المدارس الثانوية فكانت تأتي بمعلميها من مصادر مختلفة عن هذه تمام الاختلاف . فقد كان الطالب او الطالبة بعد ان يتم « الجمنازيوم » ينتقل الى الجامعة ، فاذا استطاع ان يجتاز فحوص الحكومة الصعبة كان يطمح لان يعين فى وظيفة استاذ فى مدرسة ثانوية . وقد كان يتلقى العلم على نفقة والديه مدة اثنتي عشرة سنة فى ذلك الجمنازيوم او الليسيه، ومايأتي بعد ذلك من السنوات فى الجامعة .

وكان الامر يختلف في الممالك المختلفة ، فكان الطالب اما أن يداوم على معاهد تربيوية راقية ، او يتبع دراسة خاصة في جامعة او يلتحق للتدريب بإحدى الجامعات ، كل ذلك على حساب والديه ، ويستعد بعدئذ للتقدم الى فحص مسابقة ، فاذا نجح داوم على التدريس وبعد ذلك يعين بصورة دائمة . فمثل هذا المعلم لم يدرس في مدرسة مجانية . وقد كانت مقاييس عمله راقية ، وكانت من ذات المستوى الاجتماعي ، ومن ذات الدرجة من الصعوبة لمن كان يستعد للدخول في سلك الضباط في الجيش ، او الطبابة او الحقوق ، او ما اشبه ذلك . ولقد كان استاذ المدرسة الثانوية عالما بكل معنى الكلمة ، بل كان رجلا مهذبا كاملا اعد حقيقة لمهنته التي وقف حياته عليها .

النظام الثنائي في اميركا

وقد كان يمشي مع نظام التعليم الثنائي نظام ثنائي لتدريب المعلمين وكان ذلك مطابقا لروح العصر ، وكان هناك طبقتان في الشعب طبقة القواد وطبقة التابعين ، وكانت المدارس الثانوية والمعاهد العالية خاصة بالاوائل في حين كانت مدارس الشعب تهتم بالآخرين ، وكانت هذه الفروق عينها موجودة في تدريب المعلمين . وعلى هذا الاساس بني نظام التعليم في اميركا في اول الامر كما ان الحالة الاجتماعية الاولى في اميركا كانت نسخة عن اوروبا . ومر على اميركا وقت كانت تميز فيه بين الطبقات بل لم يكن لواحد من خمسة من الشبان الراشدين حق التصويت والانتخاب . بل كانت بعض الولايات تشترط بعض شروط دينية اومالية لمن يشغل مركزا في الحكومة . ومهما يكن من الامر فقد كانت الهوة بين الحاكم والمحكوم والغني والفقير والمتعلمين والعمال اوسع مما هي عليه الآن .

على أن الحالة ما لبثت ان تغيرت في اميركا ، فقد رفض الشعب الاميركي

أن يقسم الى طبقات ، وفتح ابواب المدارس على مصاريعها للجميع ، وأصبح التفريق على اساس المقدرة ، والنشاط والعمل ، لا النسب والثروة . ولهذا فلم يكن في الامكان ان يستمر النظام الثنائي . ولم يعد هناك تمييز في المدارس الابتدائية ، فهي للجميع على السواء لا فرق بين غني وفقير . وهي تقدم الوسائل للجميع على السواء ، هذا هو مثل اميركا الاعلى . على ان هناك نقصاً واحداً . فلقد نقل الاميركيون معهم مدارس الشعب ومعها دور المعلمين لتدريب المعلمين لها ، كما نقلوا المدرسة الثانوية ، والكلية والجامعة اللتين تعدان المعلمين لها . على ان هذه المقاييس في التعليم مخالفة للمثل العليا الاميركية ، لهذا ركبت المدرسة الثانوية فوق الابتدائية واصبحتا وحدة مستقلة تامة . لكن تدريب المعلمين لم يتعرض له . فقد كان هناك دور معلمين خاصة بمدارس الشعب ، وكليات منظمة للتعليم الثانوي ، ولكن الاميركيين لم يجمعوا بين الاثنين كما فعلوا في نظام التعليم .

ماطرأ على اوروبا من التغيير

ومع ان اميركا تأخرت في فهم هذه المشكلة فان اوروبا كانت اسرع في تكيفها ولا سيما المانيا وانكلترا .

فقد انتهت الحرب وجاء معانتهائها حكومات جديدة ، ذات آراء جديدة ولا يصدق ذلك على حكومات الولايات الالمانيه فحسب ، بل على انكلترا ايضاً . فانه حيث انتشرت الآراء الديموقراطية والاشتراكية وتسلطت ، وحيث لم يبق هناك وجود للطبقات الاجتماعيـة اتخذت الوسائل الفعالة لالغاء النظام الثنائي . فمدرسة Einheitsschule ، وال E cole Unique والليسه الحرة والمدرسة المركزية Central كل هذه نتيجة الجهود التي بذلت للمساواة

ومشى مع هذا ادماج النظامين في تدريب المعلمين . والحالة في المانيا موجبة للدرس وهي تجربة لاذعة . فهمبورغ وهي اكثر المراكز اعتناقا لمبدأ الاشتراكية في المانيا ، حصرت تدريب المعلمين في الجامعة . اما بافاريا وهي اقل الولايات الالمانيه تغييراً ، فلم يطرأ أي تبديل على تدريب المعلمين فيها . ولما كانت (ثورنجيا) تحت سلطة حزب اليسار كان معلمو مدارس الشعب في هذه المقاطعة يدربون في الجامعة . اما (سكسونيا) وهي اقل اشتراكية فقد ابتدعت كليات للمعلمين ادمجت مع الجامعة . (وبروسيا) وهي اقل اشتراكية مما قبلها ، لها معاهد مستقلة خاصة بتدريب المعلمين وهي من مستوى ارقى مما سبقها . اما في انكلترا فان الجامعات في المدن اخذت تدمج فيها الكليات الخاصة بتدريب المعلمين

الحرف والصناعات

بقلم المستر و . ا . ستيوارت مراقب الحرف والصناعات

٣

التهذيب

ولمكافحة هذا التقهقر اخذت ادارة المعارف تشجع الفنون والصناعات والزراعة . فان معرض الفنون والصناعات في القدس ليست الغاية الوحيدة منه حشد كل ما يزال موجودا من المصنوعات الاهلية ، واكساب الاهلين مئات من الجنيهات في كل سنة . فهو مركز تصدر عنه الآراء الحديثة ، وفيه تقدم الرسوم للناس وتتربى اذواقهم . وقد فحصت في غزة بسطا كثيرة ، على

انه لم يكن فيها ما يصلح للمعرض الا اثنين فقط . ذلك، لان الوانها سيئة جدا حتى انه ليتعذر بيعها في المعرض . ففائدة الصباغ مهمة . ولذا فهناك مساع وجهود لجلب الاصبغة الحسنة وجعلها متوفرة للاهلين . ومثل هذه الصناعة مثل صناعة السلال عند اليمنيين في ديران . فان العمل جيد ولكن الالوان سيئة . وهنا مساع ايضا تبذل لجلب اصباغ افضل لهؤلاء عماقريب، وبالتالي تحسين نتاجهم وايجاد اسواق تكون اوسع مدى من ذي قبل . وليس يخاف ان حدادي الناصرة ونحاسيها الذين لم تكف مصنوعاتهم ان تقوم باسباب معاشهم اصبح في مقدورهم توسيع نطاق السوق لمصنوعاتهم وتوسيع مدى اعمالهم توسيعا كبيراً وذلك بفضل جهود معرض الفنون والصناعات . وفوق ذلك فصناعة الزجاج الخليلي هبت عليها نسمة من الاراء الجديدة والتحسين في ترويج المصنوعات على ان الصنع نفسه غير حسن ولا منظم الى درجة يخشى عليه من الانقراض اذا لم يقم لتولي العمل شبان عصريون ممن لهم وقوف على الحركة الصناعية الجديدة او المامة بها . وقد انشئت شعبة لهذه الصناعة في القاهرة منذ سنين عديدة فتطورت واصبحت صناعة جميلة حقا بهمة شاب دارس للفن تولى هذا العمل . ويباع زجاج هذه الشعبة في اوروبا وفي اميركا بيعا لا بأس به، والقوم هناك يقدرون قيمته الفنية وجماله تقديرا حقاً . وانني اخشى ان يكون تقهقر صناعة الزجاج الخليلي ناجما عن تراخي الناس وعدم اقدامهم على المبادءة في الاعمال الى غير ذلك مما سبب تدهور العمل الصناعي في هذه البلاد .

ان ادارة المعارف انشأت شعبة للحياكة في مدرسة البنين ببيت لحم، وهي تنوي ان تفتح شعبة اخرى مثلها للبنات في مدرسة الرملة ولم تبتدىء شعبة بيت لحم الا قبل عطلة الصيف الماضية بثلاثة اشهر، على انه حيك في هذه المدة قماش طيب عمل منه عشر بدلات صيفية كان لرئيس البلدية وبعض الوجهاء

الفخر ان يتشحوا بها . وتتم الحياكة بواسطة انوال خشبية تدار باليد ، غير ان الطلاب يعلمون الاصول الفنية للحياكة ، وقد جيء لهم بنول حديدي انكليزي . ولست ارى ، والكهربائية متوفرة لدينا ، ما يمنع ان تكثر في البلاد معامل الحياكة الصغيرة التي تدار على الكهرباء . ولا بد من تدريب تلاميذ المدارس الابتدائية على الرسم والعمل اليدوي ، قبل الشروع في تدريب الناشئة على الصناعة او قبل انشاء مدرسة للحرف والصناعات . ولسد هذه الحاجة اعطيت دروس في عطلة الصيف مرتين . وقد احتوت هذه الدروس على الرسم وتصوير اشياء طبيعية واثمار وازهار ، والرسم الفني للاشغال الخشبية والنجارة . وفي النية ايضاً توسيع هذا الشغل باضافة حفر الخشب اليه وصنع اشغال معدنية في المستقبل .

الزراعة

ولقد انشئت حدائق مدرسية كثيرة واخذت فكرة الأشجار ترسخ رويداً رويداً في النفوس ، بفضل التعاون مع ادارة الزراعة وجمعية رجال الاشجار فتم غرس الوف عديدة من الاشجار والعناية بها من قبل تلاميذ المدارس الفلسطينيين ومن هذه شجرة التوت لتربية دودة القز وعمل الحرير ، وللقيام بهذا العمل الخطير على اسس علمية كان من الضروري تمرين المعلمين على الزراعة وهذا يقوم به صف خاص بالمعلمين الذين يقضون سنة كاملة في مدرسة قدوري الزراعية الجديدة في طول كرم . ومن واجب هؤلاء المعلمين ان يعلموا تلاميذهم العناية بالجنائن المدرسية وينشروا الزراعة المؤسسة على قواعد علمية في القرى عن طريق العمل والدعاية .

نعم انه قد تم ويتم شيء كثير ، غير انه في الامكان عمل اشياء كثيرة ايضاً . فعلى كل قرية ان يكون فيها دار او محل يجتمع فيه الاهلون للخطابة والمباحثات في المسائل التي تتعلق بشؤونهم القروية وربما امكن المدرسة في بعض الاحيان

تقديم القاعة لتلك الغاية . وربما كان على المعلمات ان يساعدن فى تنظيم الاعمال التي تعود بالخير الاجتماعي على الاهلين وتوسيع دائرة الصناعات اليدوية بين النساء . وفى مقدور رجال التعليم ونسائه ان يلعبوا دوراً خطيراً فى انهاض القوم، وذلك بوضعهم الخطط لتهذيب الوالدين . وهذا العمل يحتاج الى التعاون بين المعلمين والمعلمات وبين لجنة الوالدين التي تنشأ فى كل قرية . ومن الوسائل الفعالة لحمل الناس على اليقظة والشعور بالحاجة الى الجهود المنظمة والاقدام على المبادءة فى الاعمال المعلمون السيارون يصحبهم الفانوس السحري او بالحري السينما . وهناك عدا المناصرة التي تلقاها القرى من الخارج او من الحكومة امور كثيرة فى مقدور الاهالي ان يقوموا بها من تلقاء انفسهم، اللهم اذا كانوا يشعرون بالحاجة الى ذلك . واذن فالنقص الاكبر واقع من جهة الدافع والمحرك، الا وهو روح الشعب .

ولننظر الآن الى ماعملته البلاد الاخرى .

إن صناعات الفلاحين اليدوية في المانيا تلقى تأييداً من طائفة من رسامين فنيين في ميونيخ ، وفي كل مدينة كبرى لجنة من السيدات تعنى بتنظيم البيوع للاشغال التي يعملها الفلاحون في فصل الشتاء . وبذلك انعشت الصناعات اليدوية الصغرى واصبحت صناعة اللعب (الخشاخيش) مورد رزق هام يندمج فيها عدد كبير من الاهلين .

وفي استراليا تعهدت المدارس واللجان الشعبية ان تغرس الاشجار وتنشىء الاحراج مجاناً الى مدى واسع جداً لتعوض عن النقص العظيم فى الخشب المسبب عن الاتلاف والاهمال . وقد نجم عن التعاون القائم بين ادارات الحكومه وبين الاهالي أن غرست الوف من الاشجار ولقيت شديد العناية فى بضع من السنين الاخيرة .

وفي افريقيا انشأ سانت بارب بيكر بين الوطنيين جمعية غيرت منظر البلاد تغييراً تاماً في بضع سنين . فقد كان من عادة اهل البلاد هناك ان يقطعوا الحرج ويحرقوا ما على ارضه ويفلحوا الارض المجددة (المفتوحة) ردحا من الزمن الى أن يقضى على خصبها فيقطعوا ويفتحوا ارضا اخرى ، وهكذا دواليك . وقد دامت هذه الحركة المهلكة مئات من السنين وأمست الوف من الاميال ارضا قاحلة . أما ما كان من المستر بيكر هذا فانه اقنع الاهالي بانهم بعملهم هذا انما كانوا يقضون على ثروة الارض وحملهم على العمل معه وتوحيد الجهود لغرس الاحراج المعراة . وكانت الحكومة في بادىء الامر تقدم لهم الغرس (الشتل) اما الآن فهم يخرجون الغرس الذي يحتاجون اليه ويغرسون الوف الشجيرات ويعتنون بها في كل سنة . وقد اتخذوا لهم شعاراً وهو كلمة في لغتهم معناها « اسحبوا معاً » ونجم عن جهودهم المتحدة هذه انهم يحولون بسرعة الارض القاحلة احراجا نفيسة للمرة الثانية . فاذا كان هذا الامر قد تم في افريقيا الوسطى ، واهلها نصف متوحشين ، فهو ممكن تتميمه في فلسطين دون ماريب . واذا كنت قد توسعت وأفضت في البحث في الزراعة وغرس الاشجار فذلك لان المرء كلما اكثر من مشاهدة فلسطين تحقق ان تحسين الزراعة والاكثار من غرس الاشجار هما من حاجات فلسطين الكبرى. فان خير الناس فيها يتوقف قسم عظيم منه على هذه الامور ، والصناعات المنزلية من الزراعة ، تتوقف عليها ايضاً الى مدى عظيم مما لا حاجة الى الفات النظر اليها الفاتا شديداً . وفي الامكان ان تكون القرى الفلسطينية جميلة تصبو اليها النفس اذا غرست فيها وحواليها الاشجار المظللة ، ويحتاج الى الخشب للوقود والصناعات . وغير خفي ان معظم الخشب الذي يستعمله النجارون مجلوب من الخارج . وفوق ذلك فان الاكثار من الاشجار يغني الارض ويبقي

على التربة من سحب المياه لها من على رؤوس التلال الجرداء .

ويكاد أن يكون لكل مدرسة قروية فى اوروبا واميركا جنينة يتولى العمل فيها التلامذة ، ويشرف عليهم معلمون ملمون بشؤون الجنائن . ويتلقى التلامذة زيادة على العمل اليدوي كثيراً من الدروس النفيسة في الجنائن ، مثل تهوية التربة ،واستعمال الاسمدة ، وضبط الاوبئة ضبطاً صحيحاً ، ومعالجة الامراض معالجة علمية . ويلعب الرسم والعمل اليدوي دوراً عظيماً في جميع المدارس الاوروبيـة والاميركية ، من مدرسة الحضانة فما فوق . فانه قد تحقق منذ عهد بعيد ان الولد يحتاج الى امر يظهر بواسطته قوة تصوره ، والرسم هو خير واسطة لهذا التطور . وهذان لا يعلمان كدرس منفصل بل كواسطـة للبيان والتعبير و كجزء هام من المنهج العمومى له علاقة شديدة بتعليم اللغات والتاريخ ودرس الطبيعة والجغرافيا . وليس الغرض من ذلك تخريج مصورين بل اعطاء كل ولد الفرصة وافساح المجال له للتعبير عما يريد وتنشئة غرائزه الانشائيـة بواسطة الرسم . واذا كان بين الاولاد من فيه الموهبة للتصوير تتطور فيه مع الزمن في محيط كهذا وتقدر مواهبه الخاصة وتشجع ؟

يتبع

ما الغرض من درس الجغرافيا ؟

جربت فى المقال الاول أن احدد الغرض من درس التاريخ، وانتهيت من ذلك بهذه الفكرة وهى ان الغرض يجب أن يكون تنشئة رجال صالحين يشتغلون مع مواطنيهم لخير امتهم . وحددت ذلك فقلت انه ينطبق على مايدرس فى المدارس الابتدائية والثانوية . ولم اذكر شيئاً يتعلق بالمدارس العالية لان

اغراض التعليم فيها قد تختلف عن اغراضه في المدارس الابتدائية والثانوية .

وهذا المقال على نمط المقال السابق ولكن البحث هنا يتناول الغرض من درس الجغرافيا في المدارس الابتدائيه لاالثانوية ولا العالية . اذ لاشك ان كل درس يعطى في المدارس يجب أن يكون له مايبرر ذلك . اي ان يكون الغرض المقصود من ذلك الدرس معوضاً عن الجهد الذي يصرف في التعليم .

والجغرافيا هي احد المواضيع التي يجب ان يبحث في الغرض منها ، بعكس غيرها من المواضيع التي تنتج فائدة عملية محسوسة . ففي الحالة الاخيرة لانحتاج الى بحث طويل . فاذا عرفنا الغرض من تعليم الجغرافيا امكننا أن نعين مايمكن حذفه وما يجب تعليمه ، وأصبحنا قادرين على تكوين طريقة خاصة لتعليم الموضوع .

والمشاهد ان المدرسين والطلاب قد أخذوا يعانون عدم رضاهم عن طريقة تعليم الجغرافيا القديمة المعروفة بحشو المعلومات والارقام والاسماء في ادمغة الطلاب . وكان هذا سبب الزعم القائل ان الجغرافيا ليست سوى ارهاق لذاكرة الطالب بمختلف المعلومات جليلها وحقيرها .

ولكن تقدم البحث العلمي والتوسع في درس العالم في الكليات والجامعات كان حافزاً قوياً للنهوض بالجغرافيا من تلك الحالة الوضيعة . فالثابت اليوم ان تقدم اي فرع من فروع المعرفة الانسانية يتوقف على مايقوم به الاساتذة الكبار من الدرس والتحليل بالرحلات والمراصد والمختبرات وشتى وسائل البحث الحديث . فمنذ انشأت الجامعات الكبرى وظائف لاساتذة هذا العلم فيها مازلنا نراه يتقدم تقدماً مطرداً . فاظهر هؤلاء العلماء ان الجغرافيا تفسر القوانين الطبيعية فيما يتعلق بالمناخ والتربة وتأثيرهما على حياة النبات والحيوان . فالجغرافيا اذاً ملتقى العلوم الطبيعية بالعلوم الانسانية (التاريخ ،

وعلم الاجتماع ، والاقتصاد .) ويقول بعض المتطرفين من هؤلاء العلماء ان الجغرافيا ادق العلوم الصحيحة ، لانها تضم جميع القوانين التي تنطبق على باقي العلوم .

على ان هذه الحقائق لا تفيد المدرس المبتدىء ، لا بل قد تشل عمله عندما يتقدم للتعليم فى مدرسة ابتدائية . وذلك لان نتائج البحث العلمي التي اشرنا اليها لم تطبق في الغالب الا على مناهج المدارس الثانوية . اما مناهج المدارس الابتدائية فما زالت بحاجة الى هذا الاصلاح . ومع ان المدرسين يعرفون ان الطريقة القديمة غير مجدية نراهم مع هذا كله ، لا يعرفون شيئا تستبدل به تلك الطريقة .

وسأجرب في هذه الصفحات القليلة أن أشير الى بعض النقاط المفيدة في هذا الباب ، اعتماداً على نتائج ابحاث مدرسة الجغرافيين الحديثة . وتمهيداً لذلك يقال انه لا يجوز ان يكون منهج الجغرافيا فى المدارس الابتدائية نسخة عن دروس الجامعة او اعداداً لمدرسة ثانوية . لان تهذيب معظم الطلاب ينتهي بنهاية المدرسة الابتدائية او قبل ذلك . وعليه يجب ان تكون الدروس كافية موافقة لهذه الحالة ، يتلقاها الطالب بصورة صحيحة قبل ان يغادر المدرسة .

وبازاء النزعة العلمية فى الجامعات نحو درس الجغرافيا وتدريسها توجد نزعة اخرى يقول بها علماء العلوم الطبيعية وهي اعتبار الجغرافيا مقدمة لعلمي الجيولوجيا والجو وقد ظهرت نتائج هذه النزعة بانشاء « مختبرات جغرافية » فى المدارس الثانوية بناء على القول ان الجغرافيا يجب ان تعامل كالطبيعيات والكيمياء والا فلا . ورأى بعض مدرسي الجغرافيا المتبرمين بالطريقة القديمة في هذا الامر حلا فاتبعوه حيناً .

وسيرى القارىء بعد قليل ان تدريس الجغرافيا على تلك الطريقة ليس

هو الغرض الاساسي فى المدارس الابتدائية لانه كلما كانت الجغرافيا الطبيعية ذات صلة بالانسان كانت افضل ، اذ بهذه الطريقة تصبح الجغرافيا جزءا من تدريب الطلاب وتساعدهم ليشتركوا مع اخوانهم فى سبيل انجاح امتهم . وأما درس الجغرافيا في مدرسة ابتدائيه على طريقة العلوم الطبيعية فنتيجته معرفة لاتفيد الانسان كثيراً نحو خدمة امته اذا كان لا يتيسر له اتمام تحصيله فى مدرسة ثانوية او جامعة .

وربما ناسب ان يذكر هنا شيء عن تعليم بعض الحقائق التي اصطلح على ان لها فائدة معينة . مثال ذلك اسماء البلدان وكل ماله علاقة بما نسميه تدريب العقل . ومنذ مانجد ان بعض الحقائق مثل هذه لايزال يعلمها مدرسون قديرون لا نجد بداً من الاعتراف بان لها قيمة خاصة . ولكنه يجب ايجاد مقياس يبين لنا المهم من غير المهم من المعلومات . والمقياس المقترح هنا هو مقياس « القيمة » — أي قيمة هذه المعلومات بالنسبة الى العالم الخارجي ، وقيمتها المعترف بها فى الصف .

ان المعلومات التي نسيها اغلب افراد الطبقة المهذبة من غير المعلمين ، او لم يتعلموها قط ، يجب ان نقدم اسبابا كافية لادخالها في المناهج واخيراً تعليمها فى الصفوف . اما المعلومات التي يعرفها من هم فى سن اعلى من سن الدراسة فيجب ادخالها في المنهج ويجب تعليمها فى الصفوف . وبهذه الطريقة يمكن ان تتحرر الجغرافيا من كثير من المعلومات المملة والارقام الصعبة والاسماء المعقدة .

اما مايتعلق بما يسمى « تدريب العقل » الذي ذكرناه سابقا فهناك اعتقاد شائع مبني على نظرية « انتقال التدريب » . وهي ان الشخص الذي يروض عقله ويغذوه بموضوع خاص رياضة كافية وغذاء كاملا لابد أن تتكون

فيه انواع من المهارة وطرق التفكير ينتقلان من دائرة ذلك الموضوع الخاص الى دائرة اخرى او اكثر من حياة ذلك الشخص . على انه يشترط فى ذلك شيئان : وقت طويل ، ومعرفة كافية . ولا يظهر ذلك الا فى المدارس الثانوية والعالية دون المدارس الابتدائية لان الوقت الذي يقضيه الطالب هنا لا يكفي للوصول الى تلك الدرجة الا في مواضيع معينة مثل الانشاء والتلخيص . ولا يفهم من ذلك ان تعليم الطالب الابتدائي لا يوصله الى « التفكير » . نعم يوصله الى تفكير يكون محدوداً بمعنى انه لا يستطيع ان يفكر تفكيرا جديا شاملا في مواضيع بعيدة عما تعلمه بالمدرسه .

والفكرة التي يراد شرحها الآن هي : ان الغرض من تعليم الجغرافيا في المدارس الابتدائية يجب ان يقتصر على ايصال الطالب الى احسان الحكم فى امور ناشئة عن عوامل جغرافيـة . وذلك بايقاف الطالب على اثر العوامل الجغرافيه في حالات خاصة ، وخلق وجهة نظر حكيمة بالنسبة الى الشعوب والحوادث العامة .

ولا يتمكن من طلابنا الا القليل ان يفكر منفرداً فى مسائل تتوقف على عوامل جغرافية ولكنهم يستطيعون بما وقفوا عليه من أثر العوامل الجغرافية فى حالات خاصة ، أن يقدروا آراء غيرهم في هذا الموضوع تقديراً مبنياً على شيء من الصواب . وبهذه الطريقة نكون قد اعددنا رجالا ونساء يصلحون للقيام باعباء المصالح الوطنية خير قيام .

مثال ذلك ان يعرف الطالب مشكلة العمال العاطلين فى العالم عامة وفي بلاده خاصة ، وأن يعرف سبب غلاء الاسعار وهبوط النقد وصعوده بناء على ماتلقاه من معلومات في المدرسة عن الانتاج الزراعي والصناعي ، واجور العمل فى البلدان المختلفة تهذيبا ومدنية ، وقيمة الذهب فى اسواق العالم المالية ،

وعلاقات الدول التجارية والصناعية ، والانتاج والاستهلاك ، والعرض والطلب ، وسهولة المواصلات او صعوبتها ، والحالات الجوية وتأثيرها بالزراعة ... الخ والامر المهم المطلوب هو ان يقدر الطالب على إبداء الرأي فى هذه المسائل بناء على ماعرفه من المعلومات في المدرسة ، لا على الحدس والتخمين ، أو على اقوال غيره ممن لايعرفون .

وقد تعرض بعض المسائل العامة ، وتكون للطالب بها علاقة شخصية او وطنية ، فيكون عندها بين عاملين عامل « العاطفة » وعامل « العقل » وقد يخطىء فى حكمه في الواحد كما يخطىء في الآخر . ويمكن ان تقدم امثلة كتجارة الرقيق والمخدرات وتحريم المسكرات ويستطيع الانسان ان ينظر الى هذه المسائل نظر الحكيم اذا اعتبر نفسه في مكان اصحاب هذه الامور . اى انه يجب ان ينظر في الامر من وجهتين ، وجهة النظر المستقلة ، ووجهة النظر الممثلة لوجهة نظر الغير . قد يكون لتحريم المسكرات برأي من يتعاطاها من الاميركيين سخافة . ولكنه برأي حكومة الولايات قانون تجب مراعاته . فعلى ذلك الامريكي ان يفتكر في ذلك كشخص منفرد وكعضو في الامة الامريكية . وعليه ان يختار بعدئذ أي الوجهتين احرى بالاتباع . فاذا كانت هذه حالة الامريكي فكيف يجب ان تكون حالة غيره بازاء قانون تحريم المسكرات؟ لابد من زيادة التحفظ في الرأي والاهتمام بالتدقيق عند تكوينه . لان البغضاء تتولد من سوء الفهم . وهذا امر يجب ان يبتعد عنه الناس اليوم ، لان العالم آخذ بالاقتراب بعضه من بعض ، والاعتماد بعضه على بعض ، في وسائل الحياة ، ونتائج الافكار من علوم وآداب ...

ويجب ان يكون تعليم الجغرفيا بواسطة امثلة محسوسة لاقواعد مجردة . فاذا كانت هذه الامثلة متعلقة بعلم الاقتصاد او الاجتماع او غيرهما يجب أن

لايهم المعلم بتعليم قضايا عامة مثل هـذه . « يحتاج الانتاج الصناعي الى منفذ قريب سهل الى الاسواق من جهة والى المواد الخام من جهة أخرى » بل يجب ان يهتم بشرح نشوء الصناعات الخاصة واسباب ذلك . فيجد الطالب صناعات اخرى تشابه التي درس عنها مفصلا ولا يسهل عليه الوصول الى نتائج صحيحة ، بتطبيق ماتعلم ، الا ان ذلك يحرسه من الوقوع في المغالطة المشهورة. وبذلك يصبح قادراً على فهم المقصود من كلمة « زراعـة » مثلا ، فلا يظن أن لها معنى واحداً لايتغير بتغير البلاد ، من تربة ومناخ وسكان وغير ذلك .

وأخيراً — اصحيح ان تعليم الطالب ينتهي بنهاية المدرسة الابتدائية عند تركه لها ؟ اليست قراءة المجلات العلمية والصحف المهذبة بفهم وتعقل من الامور المساعدة على اتمام المعلومات المكتسبة من المدرسة ؟ ومن اجل هذا يجب ان يتذكر معلم الجغرافيا ان درسه لايتناول امورا جافة لاوجود لها الا في الكتاب او الخارطة . فدرسه هذا يجب ان يفهم الطلاب ان مايتعلمونه ان هو الا حقائق هذا العالم كما هي موجودة . فاذا عرف الطالب ذلك ايقن انه بفهمه للجغرافيا يستطيع ان يفهم العالم الذي يعيش فيه فهماً يساعده على الحياة .

وخلاصة الافكار الواردة في هذا المقال مايأتي : —

(١) وظيفة الجغرافيا ان تظهر اثر العوامل الطبيعية على الحياة الانسانية .

(٢) يجب ان تكون طريقة درس الجغرافيا في الصفوف الابتدائية مبنية على فحص حقائق محدودة وعلاقات بعضها ببعض دون الاعتماد على القوانين الا اذا كانت طبيعية محضة .

(٣) يتوقف كل امل بالنجاح على الفائدة الدائمة التي تنشأ عن توسيع النظر ، باضافة المعلومات التي لها علاقة بمعرفة الانسان السابقة ، كلما سنحت الفرصة لذلك .

وهذه الملاحظات مبنية على الفصل الاول من كتاب بالانكليزية (١) وضع كدليل لمعلمي الجغرافيا في الصفوف الابتدائية . وقد اختصرت ووسعت واضفت وحذفت كما اقتضى المقام .

وهذه الملاحظات جديرة بنظر المعلمين ، وانه لا يصعب تطبيق ما كان مناسبا منها لحالة المنهج الابتدائي لادارة معارف حكومة فلسطين . ويستطيع المعلم الماهر أن يحرر درس الجغرافيا من عناصر الملل والارهاق اعتمادا على بعض هذه النقاط . ويستطيع ايضاً ان يغير بعضها الآخر تغييراً يتفق مع غرضه وحالة مدرسته المحلية ؟

القدس «عبد اللطيف الطيباوي»

ان الحياة جدية لكنها لعوبة ايضا

(لونجفلو)

هل لهذا القول ثمة علاقة بطلابنا ومدارسنا ، هذا ما سأبينه في هذا المقال :

في العام المنصرم وجه احد علماء الاجتماع في اميركا سؤالا على عدد كبير من النواب والافذاذ والمربين والمفكرين ، وكانت غايته من هذا الاستفتاء تكوين فكرة عن التيارات الهامة التي تؤثر على مجاري الحياة اثناء دور الطفولة . اما سؤاله فكان : « اي الاشياء كان لها التأثير الاكبر على ذاكرتك واخلاقك فى سن الطفولة » . ومن الغريب ان الاجوبة اختلفت اختلافا بيناء

---

١) The Teaching of Geography in Elementary schools, R.L. Archer ... etc. Black and Co. London 1918

ولم تقف عند هذا بل ادت الى نتيجة غير التي كان يفكر بها ذلك العالم الاجتماعي فالبعض عزا التأثير الى الحيوانات الاليفة، والآخر ذهب الى ان اعياد العائلة وحفلات السمر البيتية ، مابرحت تضرب على اوتار قلبه ، وهكذا اجاب كل حسب تصوراته وذكرياته وما املته عليه ميوله ونزعاته. وقد اخذته الغرابة كل مأخذ عندما تأكد ان القوم اجمع تناسوا ذكر اللعب ، لان اللعب فى اعتقاده اكثر ما يؤثر على الفرد في دور الطفولة وتأثيره يتمشى معه حتى فى دور الفتوة ويرافقه فى دور الكهولة، أي أن اللعب وان توارى فى الاطوار الاخيرة الا انه لايتجرد عن حياة الفرد من المهد الى اللحد .

وحقاً ان غريزة اللعب تسيطر على الجزء الاهم من حياتنا ، ثم نحاول بكل ما اوتينا من قوة ان نكبتها ونكبح جماحها . ولشد ما نرتكب متن الشطط فى تصرفنا هذا .

هل فكرت قليلا لنفسك ان لا جميل يحوط بالحياة ، ولا طرافة تحل فيها ، ان لم نأخذها عن طريق اللعب . في العصور الحجرية الاولى صنع الانسان الاواني الخزفية لسد حاجاته ، اذن تلك الاواني من قدور وصحون كانت لغاية نفعية مادية ، اقتصرت على تلك اللبانات التي تتطلبها منهم الحياة البسيطة الساذجة . لكنهم عند ما درجوا في مهاد الحضارة ، وتذوقوا الوان الترف والرخاء بدأوا يلعبون بالفخار ، ويتلهون بزخرفته ونقشه ، فنشط فن الرسم والنحت، وسارت هذه الفنون الجميلة بخطوات واسعات الى الامام وقد استعمل الانسان الاول صوته بادىء ذي بدء لغايات نفعية — فصرخ خوفا من الضواري والاوابد ثم هتف طلباً المساعدة والنجدة ، وأخيراً اغتاظ وتباهى ليقهر عدوه ويلقي الرعب في قلبه — لكن عندما ابتعدوا عن الحياة الصاخبة الخطرة ، واقتربوا من الحياة الساكنة الآمنة ، بدأوا يلعبون باصواتهم ، فنجم عن

ذلك فن الغناء والموسيقى ، فطربوا عند مناجاة آلهتهم ، وثملوا عند استنجادهم ، فانشدوا الاناشيد السماوية ، وعزفوا بمزامرهم القدسي ، موسيقى الروح الاعظم. فاصبح اولئك الاقوام رجال دين ليس لانه فرض عليهم ذلك ، بل لان اللعب دفعهم الى الانصباب على هذه الامور واضرابها والولوج الى قدس اقداسها .

نحن نمنع اللعب باشد انواع الصرامة ، ولا نتساهل مع اللعوب ، بل نتطلب من كل فرد ان يأخذ الحياة عن طريق الجد، والواجب ، الدرس والكتاب ، الارهاب والاجبار ، فلا نفسح المجال للعب بين طلابنا ، ولا نفهمهم النتائج الباهرة التي في المقدور الوصول اليها عن طريق اللعب — والاختيار — والرغبة الذاتية ، فلنشوق اطفالنا وهم صغار الى اللعب المنظم المفيد فينشأون كباراً يحبون اللعب ، ويقبلون على القيام بواجباتهم في هذه الحياة بقلوب فرحة ، وبدوافع ذاتية اختيارية تؤدي الى نتائج باهرة .

ولست اعني باللعب تلك الكلمة الضيقة التي نفهمها ، فليس اللعب الذي اعنيه الوثب والعدو — بل اللعب باوسع معانيه، وهو النظر الى الحياة نظرة راغبة في خوض معامعها ، طربة لاكتشاف مجاهلها وتواقة لادراك اسرارها وحقائقها ، ليس عن طريق الواجب والقانون بل عن طريق الرغبة والاختيار.

كلنا يتذكر سني الطفولة وذكرياتها المجيدة ، ويتوق من صميم قلبه ان يظل ينظر الى الحياة من اولها الى اخرها بذلك المنظار ، لانها تضمن المرء سعادته وهناءه — وللبشرية تقدمها وراحتها .

ان موجة من المجرمين اخذت تطفو علينا وما برحنا نصنع مجرمين في امهات مدننا باسرع من اقامتنا السجون والحصون — وهؤلاء المجرمون قد تجردوا عن هذا الضرب من اللعب ، او عن استمراء هذه العقيدة في صغرهم فكبروا وهم يكرهون الحياة ونظمها ، ويشنأون كل جميل وطريف فيها. ولا مراء

فمن لم يلعب وهو صغير لا يلعب وهو كبير .

ونظرة الى سجل الاكتشافات البشرية ترينا كيف كان للعب باوسع معانيه التأثير الاكبر على تقدم الحضارة . فمعظم الاكتشافات الحديثة نجمت عن اللعب . والامثلة على هذا كثيرة وعديدة .

جون غوتنبرغ — مخترع الطباعة — كان يلعب بقشور الشجر اثناء تجواله في الاحراج ، عند ما فكر في الحروف المتحركة — وما قصده في البداءة سوى قطع حروف لتسلية صغاره ، لكن النتيجة كانت المطبعة الحديثة — ومثلها اول ساعة واول آلة بخارية . حتى الكهربائية فقد اكتشفت باللعب عندما فرك الاقدمون الكارب كانوا يلعبون لكنهم شاهدوه يجذب قصاصات الورق . وهذا جون بنيان « كاتب سياحة المسيحي » Pilgrim's Progress فانه كتبه مدفوعا بعامل الرغبة والاختيار فاتى آية في الابداع مع انه كان يقول « لا يهمني ارضي به جاري ام لا فانما انا اكتب لارضي نفسي » .

ويطول بنا المقال ان حاولت جمع هذه الامثال الشتيتة المبثوثة هنا وهناك في سجل البشرية اللعوبة ، وهي كافية لان تشير الى خطورة اللعب والمران عليه في جميع مرافق الحياة .

يكتب الكاتب مقالات بليغة وتملأ انهار المجلات والجرائد ليتقاضى اجوره ، ويقوم بما هو مفروض عليه ، لكن آيته الفنية الخالدة لا تظهر الى الوجود الا اذا كان مغموراً بروح اللعب ومأخوذاً بعواملها . عندئذ تقرأ احسن كتاب لاعظم كاتب او نتقرى اجمل تمثال لامهر نحات ، او اطهر صورة لابرع رسام .

وهذا ما أظن ينقصنا في مدارسنا ، ويتغاضى عنه اكثر معلمينا ، تربية روح الاختيار والرغبة ، وتشجيع الطلاب على القيام باعمالهم عن طريق اللعب

والدافع الذاتي .

ليست حياة العائلة القيام بالواجبات فحسب — وليست حياة الطالب في الدرس والاجتهاد فحسب بل علينا ان نخلق جواً مفعماً بروح اللعب ، ومقروناً بعوامل الرغبة والاختيار . عندئذ نشتغل ولا نتعب — ندرس ولا نمل — نطأ اللحد ونحن غير متشائمين . فدعنا نقول مع لونجفلو الشاعر الامركي المحبوب « أن الحياة جدية ولكنها لعوبة ايضاً »

وهنالك سعادة — ونجاح لكل فرد اومجموع ينظر الى الحياة بروح اللعب والرغبة والدافع الذاتي ، ولست اشك في ان المدرسة التي طلابها يقومون باعمالهم وفروضهم مدفوعين بدوافع ذاتية اختيارية ، هي في مسالك الارتقاء سائرة ، والى ذروة الكمال مقتربة .

الناصرة ابراهيم مطر

من الكتاب الى القاهرة

٢

نشرنا في العدد الاول من هذه المجلة القسم الاول من هذه المقالة وها نحن ننشر بقيتها فنوجه اليها الانظار (١)

لقد كان اصحاب معامل القطن في لنكشير في انكلترا منذ مدة بعيدة يعتمدون كل الاعتماد على الولايات المتحدة لاستيراد القطن ، وكانت اعينهم

(١) عن مجلة المدرسة الكندية

تفتش عن مصدر جديد. في الامبراطورية البريطانية لهذه الخيوط القطنية . وقد اشبعت يوغندا آمالهم ، واخذ القطن الفاخر الذي يزرعه الوطنيون يزداد في الكمية كل يوم على حذاء الخط الحديدي الذي يخترق كينيا الى يوغندا فممباسا فيصدر من هناك الى معامل القطن في انكلترا .

ويصدر سنويا مايزيد على مئتين وخمسين الف بالة . ومن الصادرات المهمة الاخرى ، القهوة والحنطة ، والفلفل ، والشاي ، والتبغ وغير ذلك من حاصلات القسم الشمالي الجاف كجلود المواشي . و يوغندا هذه هي مستعمرة نموذجية من نواح عديدة والقطن هو مصدر حياتها وثروتها ، فان هذا الناتج الثمين قد جعل من اهلها ذوي ثروة بالنسبة لغيرهم من جيرانهم ولهذا فالضرائب تجبى بسهولة ، وطرقاتها احسن طرقات افريقيا ، واكثر سكانها الاصليين مسيحيون والتعليم ينتشر بينهم .

وكان سكان السودان المصري الانكليزي قبل خمس وثلاثين سنة ثمانية ملايين ونصف . ونشبت بعد ذلك ثورة المهدي ، فقتل فيها خلق كثير وتنازل عدد السكان الى اقل من مليونين . ثم جاء بعد ذلك عهد سلام وعدل انتشرت فيه السكك الحديدية والطرق والخزانات . ويعد الآن مايقرب من سبعة ملايين من السودانيين الذين يرعون مواشيهم وجمالهم في الشمال والشرق ، ويجمعون الصمغ والبلح في درفور وكردفان يزرعون نبات الدخن والسمسم وفستق العبيد على شواطئ النيل ويزرعون بكميات متزايدة اجود انواع القطن بين النيل الازرق والابيض في اراض سهلية كانت قبل ثلاث سنوات صحراء رملية وقد اصبحت الآن اراضي خصبة بفضل الري من خزان سنار المشهور .

ان قبائل شمال السودان المصري الانكليزي العظيمة تعيش عيشة البدو في الصحراء تحت الشمس المحرقة والنجوم الزاهرة . فالجمال تغذيهم بالحليب واللحوم

وتسهل لهم طرق النقل. اما في الجنوب فاهالي السودان السود يعيشون عراة عيشة بسيطة وهم وثنيون. ومطالب هؤلاء قليلة تجود عليهم بها الطبيعة الغنية ذات المناخ الجيد.

اما السهول الجافة بين دارفور وكردفان فتعيش فيها قبائل متفرقة ترعى مواشيها الجائعة ويتعرضون للموت جوعا من العطش لقلة المرعى ويجرحون شجيرات الاكاسيا ليحصلوا من جروحها على الصمغ العربي. هذا وأن طرق المواصلات بالقطار والبواخر التي تمخر النيل اخذت تقرب الاماكن البعيدة الى التجارة. فالصمغ العربي والبلح اللذان يجمعان من صحراء دارفور البعيدة وكذلك المواشي في كردفان يمكن نقلها بالقطار من محطة العبيد ومن هناك شرقا الى البحر الاحمر الى ميناء بورسودان ومنها الى القاهرة او لفربول.

لم يبق علينا الا وصف مقاطعة واحدة من مقاطعات شرقي افريقيا البريطانية وهي جزيرة زنجبار المشمسة حيث يعانق الاوقيانوس الازرق الكسول شواطئها واهم حاصلاتها كبش القرنفل، الذي يعطر الهواء شجره البلاد فتظهر الطرق الجافة كاسلاك من فضة بين مزروعات واسعة خضراء. ولقد مر زمان كانت فيه زنجبار الصلة بين شرقي افريقيا وجنوبي آسيا، وكانت ميناء زنجبار شهيرة بانها اعظم سوق للعبيد في افريقيا ان لم تكن فى جميع انحاء الدنيا. ومن حسن الحظ ان الايام التي كانت تباع فيها العبيد قد ذهبت الآن ورجعت زنجبار مدينة تجارية. وفي زنجبار ينبت وينتج اكثر من ٩٠ فى المئة من حاصل كبش القرنفل الذي يتاجر فيه. اما حاصلاتها الثانية فهي قشور جوز الهند الذي يستخرج منه زيت الكوكوا.

ان هذه المستعمرات، التي وصفناها الان هي اصغر جماعة بين العائلة الامبراطورية. فاذا قابلناها بلاد اميركا الشماليه والجنوبية كانت الاخيرة، شائخة بالنسبة اليها. فهذه البلاد لا تزال في فجر تعرف العالم بها، ولا يزال

صدى دهشة اكتشافها يتردد فى الهواء ، فهي فى قلب قارة افريقيا المظلمة ، التي يروى عنها الحكايات الغريبة العجيبة . على ان البلاد آخذة في التقدم الان ، الا ترى اننا قبل جيل واحد فقط لم نكن نعرف من اين ينبع النيل ، وهو اشهر انهار افريقيا . فقد كان لغزاً عجز الناس عن حله . اما اليوم فالنيل ، والكنغو ، والزمبيزي ، واللمبوبو ، والارنج ، والفال ، قد ارتبطت بخيوط من طرق السيارات تزداد توثيقاً سنة فسنة . بل من عدة سنوات كانت هذه المساحات الواسعة ارضاً خالية يسكنها بعض المتوحشين ، ولقد اضيف الآن ملايين من الفدادين الخصبة ، الى العالم الذي يحتاج اليها احتياجاً ماساً ، فتنتج هذه الاراضي كميات عظيمة من المواد الخام التي تغذي مصانع العالم .

ولقد اصبح العشرون مليوناً من السكان الاصليين يتعلمون بسرعة ، وقد تلاشى الوقت الذي كان يتاجر معهم بمبادلة الخرز ، والادوات النحاسية البراقة فقد اصبح هؤلاء الوطنيون يستوطنون القرى ويزرعون القطن ويربون المواشي ، ويشتغلون في المزارع ويحفرون المناجم ، ويعملون في المدن والقرى . وهكذا فان افريقيا آخذة في التقدم وسيأتي دورها .

أن سكة الحديد العظيمة من الكاب الى القاهرة التي تخترق القارة من طرفها الواحد الى الطرف الآخر في مناطق حياة وعمل ، هي بمثابة سلسلة فقرية تربط اجزاءها بعضها ببعض . ولقد ابتدأت المقاطعات البريطانية تؤلف من بعضها جماعات مرتبطة . فاتحاد جنوبي افريقيا قد وضع لها المثال حيث اجتمعت اربعة مستعمرات مختلفة ، مستعمرة الكاب ، وناتال ، ومقاطعة اورنج الحرة والترانسفال والفت من بينها اتحاداً بريطانياً ومتى تحسنت السكك الحديدية فقد نجعل من روديسيا الشمالية والجنوبية وربما نياسالند ، اتحاداً آخر . ويرتب الآن تحالف فيما بين تنجانيكا وكنيا ويوغندا . وكان سكة

الحديد الكندية — الباسفيك ربطت اجزاء كندا المقطعة وضمتها في اتحاد واحد ، كذلك خط الكاب القاهرة فانه متى تم فقد يجمع بين المقاطعات البريطانية من السودان الى رأس الرجا الصالح في اتحاد افريقي واحد عظيم ويتحقق بذلك حلم سسل رودس .

ليس هناك من يظن بان المشحونات من جنوبي افريقيا ستنقل على هذا الخط الحديدي المتعرج ، الذي يكلف نفقات طائلة لتنقل من هناك الى البواخر من الاسكندرية . فان كل مقاطعة في افريقيا تفتش عن اخصر طريق موصل لها للبحر . وهذا الطريق العظيم يتشعب عنه الآن خطوط حديدية يمينا ويسارا . فاذا ذهبت الى دربان فى ناتال وجدت ان منها يشحن الذهب والفحم والجلود وقشور الاشجار وغير ذلك من الناتجات الزراعية التي تصدرها الترانسفال وناتال . ويتصل خط اقصر من الذي ذكرناه من جهنزبرج فينتهي في لورنكو ماركس في المقاطعة البرتغالية ، ومنفذ روديسيا الشمالية والجنوبية ومناجم كاتنجا خط جانبي يتصل ببيرا وخط آخر يجتاز الى الغرب الى مدينة بنجويلا في الكنغو البلجيكية . اما تنجانيكا وكينيا فكلاهما لها خطوط حديدية تجري من اواسط افريقيا حتى الاوقيانوس الهندي وسيأتي يوم تصبح هذه خطوطاً جانبية لخط الكاب القاهرة . والسودان المصري الانكليزي يصدر قطنه وجلوده وصمغه وعاجه الخ ليس الى القاهرة ولكن الى بورسودان على البحر الاحمر ، وهذا خط جانبي اخر . على ان اهم قيمة لخط الكاب القاهرة ، وهو الخط الرئيسي ليست لنقل البضائع على طول هذه القارة ولكن لان له ان يغذي الخطوط الجانبية ويوحد الخطوط المختلفة المتشعبة منه واهم من هذا العمل هو العمل السياسي والاجتماعي فانه الخيط الرابط للجاليات البريطانية الذي يذكرهم بارتباطهم ببعض وبالامبراطورية .

على ان هذا الخط يسد حاجة اخرى لابد وأن تزداد مع الوقت . فان سهولة النقليات اخذت تقلب حياة الانسان رأساً على عقب كما تغير نظرته الى الحياة . فلم يعد يقبل ان يعيش في زاوية من زوايا الدنيا . فأن الذوق للسفر قد اصبح رغبة شديدة حتى ان الفقير يحب ان يكون سائحاً وان يرى البلاد الغريبة المختلفة . فان خط الكاب للقاهرة قد رفع الحجاب الذي كان يغطي افريقيا وما فيها من المناظر المدهشة والجبال العجيبة والانهار العظيمة والشعوب الغريبة والنباتات النادرة واعظم الحيوانات المفترسة وابهى الطيور. فهي كجنة للسائحين تبهر انظار الخاطرين وتزداد هذا مع الوقت وليس هذا القطار وحده هو الذي يلعب دوراً مهماً فى ازدياد ثروة البلاد فحسب بل السيارات ايضاً فهي تقوم بذات العمل . واليوم اصبح من الواقع انك تركب السيارة في اي قسم من اقسام جنوبي افريقيا فتنزل منها على ضفاف النيل . م

العلوم الطبيعية وغايتها الثقافية (١)

في اواخر القرن الماضي ظهر في انكلترا تشجيع لتعليم العلوم الطبيعية ... له الاثر الطيب فى انعاشها وكان من جرائه ان ظهرت خطط واساليب عدة حول تعليمها بصورة فنية بينما نرى ان تعليم العلوم الطبيعية قبل ذلك كان من خصائص دائرة العلوم والفنون فى سوث كنزنكتن (South Kensington) ليس الا وقد خطت هذه الخطوة مدارس عديدة ، واصبحت تحل العلوم الطبيعية المحل الاول فى برامجها تمشياً مع روح العصر من جهة وطمعاً بالمساعدات المالية التي كانت تعطى

---

(١) من مقال للسر ت . برسي نن Sir T. Percy Nunn

لكل مدرسة تقدم على ذلك التغيير من جهة اخرى . فولت تلك المدارس وجهها شطر علوم المختبر وانصرفت عن صرف اللغة اللاتينية ونحوها ، نفخت فيها روح التجديد فبرزت للعيان لابسة ثوباً قشيباً .

كذلك ظهر في اواخر القرن الماضي وفي اوائل القرن الحاضر اندفاع شديد وتهافت على تعليم العلوم الطبيعية في المدارس التي كانت تتناول مساعدات مالية من ثانوية او دون ذلك . وكان عدد تلك الطائفة من المدارس في ازدياد مستمر وكذلك اصبحت العلوم الطبيعية في مصاف الفروع الرئيسية بل في اولها واصبحت محط عناية المفتشين والزائرين بعد ان كانت مهملة قلما يلتفت اليها .

وعقب ذلك اصدار قانون التعليم العام سنة ١٩٠٢ — ١٩٠٣ واختلاف في وجهة النظر الادارية على اثر تشكيل مجلس المعارف العام سنة ١٨٩٩ . فقد نص قانون التعليم العام ان معاهد العلوم التي أسستها الهيئات المدرسية غير قانونية كما ان الهيئات المدرسية قد تلاشت واضمحلت امام مجلس المعارف العام الذي نزع من يدها كل سلطة ومنحها المجالس المعارف المحلية .

زد على ذلك ان السياسة التي اتبعها مجلس المعارف العام كان لها اسوأ الاثر في تعليم العلوم الطبيعية فقد اوقف تقدمه واذهب ما كانت تتمتع به العلوم الطبيعية من المحال السامية في برامج التعليم وقطع عنها المساعدات المالية .

اما الحالة الحاضرة بالنسبة للحالة منذ عشرين سنة فهي ان المدارس الابتدائية تعلم العلوم الطبيعية اقل من ذي قبل لان حبس المساعدات المالية عنها قد اثر في اندفاعها في هذا الاتجاه تأثيراً سيئاً للغاية . هذا من جهة المدارس الابتدائية . اما من جهة المدارس الثانوية فقد كانت التغييرات كثيرة التشعب متعددة النواحي ففي سنة ١٨٩٩ كانت المدارس على نوعين : فئة قبلت المساعدة المالية التي كانت تمنحها ادارة المعارف فاضطرت أن تغير برنامج

التدريس فيها فصارت صبغتها علمية محضة . وفئة أخرى كانت في سعة من المال فلم ترض بل رفضت أن تبيع حرية العمل فيها وأن تغير صبغتها التي اشتهرت بها مقابل المساعدة المالية . من هذه الفئة اكثر المدارس الاهلية التي حفظت صبغتها الادبية واكتفت بتغيير بسيط سمحت لنفسها بادخاله حباً في التمشي مع روح العصر . لذلك نرى انه في خلال السنين الاخيرة أي بعد ان ابطلت المساعدات المالية للعلوم الطبيعية هبط مستوى تعليم العلوم في مدارس الفئة الاولى وارتفع مستواه في مدارس الفئة الاخرى . وهكذا اضاعت العلوم منزلتها السامية في ناحية وارتفعت هذه المنزلة واستقرت على اسس ثابتة في ناحية أخرى .

ولا بد من هذه الفذلكة التاريخية مقدمة لهذه المقالة وذلك لاسباب عديدة اولها أن التقاليد المتبعة الآن في تعليم العلوم قد نشأت في مدارس العلوم التي سبق والمحنا اليها في البدء والثاني انه في البرهة التي كان فيها الاندفاع في تعليم العلوم على اشده ظهرت برامج عديدة وأساليب متنوعة كان لها الحظ الاكبر من البحث والتدقيق جنى منها تعليم العلوم فوائد جلى ذات اثر كبير . والثالث وهو الاهم هو ان الاساس الذي بني عليه نظام العمل في دائرة العلوم والفنون في سوث كنزنكتن كان مرتكزاً على ان اطلاع الطلاب على المباحث العلمية امر ضروري من الوجهة القومية فقد اصبحت العلوم خصوصا الكيمياء والطبيعيات مورد رزق لا تستطيع دولة في هذا العصر ان تعيش بدونه . ثم جاء سبنسر وهكسلي واتباعهما برأي بديع يتلخص في ان درس العلوم لا ينحصر في كونه مفيداً فحسب بل بالامكان ان يجعل اساساً للثقافة كالثقافة المؤسسة على اللغات ان لم تكن اعلى منها منزلة وما مدارس العلوم التي تحدثنا عنها الا نتيجة هذا الرأي فانها خالفت القائلين بمكانة الثقافة القائمة على الآداب

وقدمت بدلا منها ثقافة مبنيـة على ماقام به الكيمائي وعالم الطبيعيات من الاعمال .

ليس في مقدورنا ان نطرق هذا البحث الا بضوء الاختبارات التي مرت على مدارس العلوم فقد جلت تلك الاختبارات جميع الريب التي كانت تحوم حول جعل العلوم اساسا للثقافة وبرهنت على فائدتها الكبرى ومع ذلك فنتائج تلك المعاهد لم تزدنا الا يقينا بالرأي القائل بفشل كل محاولة تؤدي الى بناء الثقافة على اساس واحد فقط سواء أكان علمياً أم ادبياً . من اجل ذلك اهمل ذلك النظام لاعتقاد قادة التربية ان الثقافة العلمية البحتة لها من الضرر مثلما للثقافة الادبية البحتة . وانها (اي الثقافة العلميـة) لاتلبث أن تضيق دائرة التفكير وتقضي على النمو العقلي . وليس الغرض الوحيد من هذا الكلام ان نحذر المغالين المتعصبين للثقافة العلمية بل لنا غرض آخر هو تعيين المحل الذي يجب ان تحله العلوم فى برامج التعليم والاسباب الداعية لادخالها . فلنبحث عن تلك الاسباب ولنعين ذلك المحل .

اول ما ينبغي علينا تفهمه هو ان كل فرع يدخل برامج التعليم يشترط فيه ان يمثل حركة ذات اهمية كبرى فى تقدم الانسانية وقدتم هذا الشرط في الادبيات مثلا وفي الموسيقى وغيرها من الفنون وليس ثمة ضرورة لايراد البراهين وادلاء الحجج على ان المدنية الحاضرة ماكانت لتصل هذا الشأو الذي وصلته لو ان احدى تلك الحركات الفكرية قد قتلت في مهدها او توانى الناس عن تعهدها بالاعتناء . فلا مشاحة فى ان الثقافة التي تبنى على تلك الاسس يكون من تأثيرها ان تغني عقول النشء وتوسعها وعلاؤها نبلا . فالعلوم قد تمت فيها تلك الشروط فهي لذلك جديرة أن تدخل في برامج التعليم لا لان تعلم العلوم شيء مفيد فقط كالاختزال اذ لو كان

الامر كذلك لما ادخلت البتة ولما حلت الا محلا غير ذي اهمية في برامج الدروس ولكن فضلا عن فائدتها العلمية فالعلوم كالآداب والفنون من اهم الاشياء التي افصحت بها عن نفسها روح الانسان من قديم الزمان فلنا الحق كل الحق في ادخالها ولها الحق كل الحق ان تحل من برنامج الدروس الصدر وان ترتع منه في محل فسيح .

اما الروح التي يجب ان تعلم فيها العلوم فيمكن ان نستلخصها بنفس الطريقة .

يلوح لي اننا معشر المعلمين نعتقد ان الميزة الثقافية لفرع من الفروع تنحصر في عصارة تستخرج منه ثم تعطى بمقادير معلومة فى فترات منتظمة فتنشط العقول وتشحذ الاذهان . وان هذا الرأي الفاسد هو مايحمل معلمي اللغات على صرف اوقاتهم فى تدريب الطلاب على نظم اشعار لاطائل تحتها ، وهو الذي يحمل معلمي الرياضيات على الاعتقاد بان لنظريات اقليدس الهندسية مفعولا سحريا عجيبا . ولم يخل معلمو الطبيعيات من هذا النقص فقد انتقل اليهم بطريق العدوى عن زملائهم الآخرين ان القيمة الثقافية للعلوم الطبيعية تنحصر فى الكسير عجيب هو الشكل فى الشكل . من اجل ذلك كثيراً مانسمعهم يرددون كلمات جوفاء مثل (تدريب الطالب على الملاحظة) و (تربيته على الاساليب العلمية) اذ العيب في مثل هذه الآراء هو انها تنسب للبعض ماهو بالحقيقة منتسب للكل فان احسن تراث خلفه لنا العلماء الطبيعيون هو الحيلة العلمية لا الاساليب العلمية وعلى ذلك يترتب علينا أن نسعى لايجاد تلك الحيلة العلمية لا الاساليب . نعم ان الاسلوب العلمي هو عماد الحياة العلمية كالتنفس فهو عماد الحياة ولكنه ليس الكل فى الشكل فهو واسطة لا غاية .

ويتراءى لي ان البحث ينحصر فى نقطتين هامتين (أولا) ماهي ميزات الحياة

العلمية وما هي دلائلها . (ثانيا) كيف يمكن ان تتحقق في الطلاب . فلنحاول أن نجيب على هذين السؤالين :

ان اهم ميزات الحياة العلمية حب الطبيعة والشعور بميل خالص من كل شائبة لتفهم اسرارها ولا يخفى انه يوجد هنا شيئان المحبة والتفهم وهما شيئان براهما الله سبحانه وتعالى متحدين فليس لنا ان نفصلهما عن بعضهما دون أن نخسر من جراء ذلك خسرانا كبيراً . ولعمري ان الشاعر وردسورث قد نطق عن حكمة بالغة وفلسفة رائعة حين قال « ان الطبيعة لاتخذل محبيها ولا تخونهم » كما انه يمكننا القول ان الطبيعة لاتعطي كنه اسرارها الا الى مريديها ولديها كثير من ضروب الحيل تضلل بها من لم يتقدم اليها بقلب خالص ولهذا السبب نجد ان السحرة الاقدمين لم يفتح لهم شيء يذكر فانهم حاولوا تفهم اسرار الطبيعة لالأنهم كانوا من محبيها وعشاقها بل لانهم كانوا يرهبونها او لانهم كانوا يحاولون اخضاعها لمآربهم الشخصية . ولهذا السبب ايضا نجد ان الفوائد العملية من العلوم مثل البنج ، وأشعة اكس ، واللاسلكي والتلغراف لم تفتح الا على رجال تتبعوا العلم من أجل العلم .

يترتب على ماتقدم أن أهم واجبات معلمي الطبيعة هي تربية طلابهم على أن يكونوا عشاقا للطبيعة دون ما مأرب وقد لايروق هذا القول لفئتين من الناس : الفئة العملية التي تعتقد بفائدة العلوم الطبيعية من أجل المادة والنفع والفئة المتعقلة التي تقيس كل عمل تربيوي بمقدار مايجنى منه من النظام العقلي . اما الفئة الاخرى فسوف لاترى في ذلك من بأس ، مادمنا لم نكثر منه ولكنهم سوف لايبررون جهودنا في احلال العلوم الطبيعية المحل الاول .

اما نحن فنقول بأن على كل من الفئتين ان تعلم انه مالم تحل الطبيعيات المحل الاول فليست بالغة ذلك الشأو الذي تبتغيه وانه مالم يكن الدافع في تعليم

الطبيعيات حباً خالصاً من كل شائبة فليس النفع المادي وليس النظام العقلي بالذي يمكن الحصول عليه . اما المعلمون البارعون فيقدرون قولنا هذا حق قدره فتراهم لا يألون جهداً في حمل طلابهم على حب العلوم وعلى تقدير ثمراتها ، وكان نصيب قسم كبير منهم الفوز المبين . غير اننا نعرف جيداً ان الفشل كان نصيب قسم من معلمي الطبيعة لا يستهان به . ومن المزعج الممض حقاً ان قسما كبيراً من ناشئتنا حتى الذين يميلون الى العلوم الطبيعية منهم قد تأصل في نفوسهم ملل من درس العلوم ولم يجدوا فيها من اللذة الفكرية ماكانوا يتأملون . وكثيراً مايعترفون بعد تخرجهم من المدرسة ان دروس الطبيعة لم تكن لتشفي لهم غليلا فهم مضطرون ان يتزودوا المعلومات العلمية من مطالعاتهم الخاصة في اوقات الفراغ . وفي كثير من الاحيان يجد الشاب المتخرج ان درس العلوم قد قتل ذلك الميل الذي كان يشعر به الطالب نحو الطبيعة وتفهم أسرارها مع ان الغرض منه هو تنمية ذلك الميل . تراهم يتذمرون من هذه الحالة ويضعون اللوم على عاتق الفاحصين مع العلم ان الفاحصين ليسوا وحدهم الملومين والحقيقة ان السبب في ذلك يرجع الى تلك الاعتقادات السخيفة والافكار العقيمة التي عششت في رؤوس الفاحصين والمعلمين على السواء . ترى المعلم والفاحص يهتم كل الاهتمام فى النظريات الجافة التي يملها الطالب ولا يهتم مطلقاً بتلك الناحية من العلوم التي يميل اليها الطالب وتتلاءم ومستوى عقله وتقديره . هذا وأن المعلم المستجد ، كثيراً مايقع فى هذا الخطأ فهو لايفتأ يذكر ان درس العلوم هو فى الاساس بناء منطقي محض فلذلك تراه يتشدد في التعاريف وفى الوصف الدقيق وفي سرد القوانين دون خطأ فهو يعتقد ان درس العلوم مالم ينتبه فيه الى هذه النقاط ليس بدرس ابداً ، مما يجعل الدرس ثقيل الوطأة جافاً قاسياً على الطلاب قاتلا

لكل اندفاع ونشاط . ونصيحتي الى ذلك المعلم الذي وقع في هذا الخطأ ان يذكر انه يحاول ان يجعل طلابه يبتدئون من المحل الذي انتهى هو فيه وقد سها عن باله انه ماوصل الى تلك الدرجة الا بعد عناء شديد وجهد جهيد فما باله ينتظرها من طلابه في بدء دراستهم . ومابالهم ينسى ان اختباراً تظهر فيه للطلاب اشياء خارقة ذات الوان مفرحة تلذ الطلاب اكثر بكثير من نظريات التركيب الجزيئي المادة مع ان قيمة ذلك الاختبار من الوجهة النظرية لاتذكر فليذكر المعلمون انهم في بدء دراستهم لم تكن لديهم مقاييس للتقدير مثل التي لديهم الان وان طلابهم في بدء عهدهم فلا ينتظرون منهم الشيء الكثير .

ولا يذهبن البعض الى ان الغرض من هذه الانتقادات هو انكار ما للتفكير الدقيق من الاهمية في تعليم العلوم . كلا ! فان كل معلم لا يهتم بتدريب طلابه على التفكير الدقيق وعلى تقديرهم له حق قدره، يكون قد اهمل غاية اساسية هامة . ولكننا لم نذهب بانتقادنا الا الى نقطتين الاولى ان تعويد الطلاب التفكير الدقيق والتلذذ بالنظريات العلمية يجب ان يكون الغاية النهائية من تعليم العلوم لا ان يكون باباً يتحتم على الطالب الدخول منه في اول درس من دروس العلوم . والثانية انه على المعلم اذا اراد الوصول الى غايته ان يلتفت الى ميول الطالب الطبيعية من درس العلوم ويستغله في الوصول الى تلك الغاية لا أن يهمل تلك الميول .

ترانا نتكلم في هذا الصدد عن ميول الطالب الطبيعية في درس العلوم فهل في الامكان تحديدها بصورة عامة شاملة . اجل ان الطلاب يتباينون في ميولهم تبايناً كبيراً ولكن تلك الناحية من درس العلوم الطبيعية حيث تتجلى للطالب اشياء خارقة اشبه بالسحر كالتغيير العجيب الذي يحدث في التفاعلات الكيماوية ، والغريب من عادات الحيوانات في الحقول والاحراج والماء ،

وجمال حياة النبات وما فيها من اسرار ، ومحاسن القبة الزرقاء ، وعظمة الاجرام السماوية ، كل هذه اشياء تسترق اللب وتستهوي افئدة الطالب الناشيء . ان غرام علماء الطبيعة في درس الطبيعة وخرق حجبها قد ابتدأ هنا فلنبتدىء نحن ايضاً من حيث ابتدأ علماء الطبيعة .

ان كل طالب مهما كانت درجته او عقليته تلذه الناحية العملية من درس العلوم ويتشوق ان يفهم كيف تعمل الآلات وكيف تدير فاذا كانت بعض الظواهر الطبيعية تروقه ويسر لمشاهدتها فما احراها أن تجعل أساساً لتدريبه على درس النظريات العلمية . ويترتب على ذلك ان الحديقة او الحقل المحروث هو المحل الذي يبتدىء فيه درس النبات ، كما ان درس الطبيعة يجب ان يبتدىء في درس الطقس وحالة الجو وفي الفوالسفن وفي تفهم السر في المولدات الكهربائية والتلغراف وما اشبه ذلك . ويترتب على ذلك ايضاً ان المختبر يجب ان يكون المحل الذي يعاين فيه الطالب عن كثب ما تتوق اليه نفسه وما قرأ عنه في كتب الاطفال لا المحل الذي تطبق فيه نظريات الكتاب الجافة وفي تلك الاثناء يتاح للمعلم الحاذق ان يستغل اللذة التي يشعر بها طلابه ويوجهها في نواحي مفيدة ويدربهم على الاساليب العلمية فما يتعلمه الطالب بهذه الطريقة يبقى الى الابد ويصبح قسماً من عقليته .

ان هذه الملاحظات تدعو الى ملاحظتين أخيرتين (الاولى ، ان واجب المعلم المتجدد ان يستغل ميول طلابه ورغباتهم اكثر ما يمكن وان يلاحظ تقدمهم ويسوسهم باعنة مرخاة وان يتوصل الى النتيجة التي يتوخاها بالملاحظات والاقتراحات والتنشيط . (والثانية) ان التشدد في اتباع خطة مرسومة وعدم الحياد عنها لا يأتي بفائدة تذكر . بل يجب ان يقرن العلم بالعمل ما استطاع المعلم الى ذلك سبيلا وليجعل مختبر النبات قسماً من حديقة المدرسة ومختبر

الطبيعيات محلاً يؤمه الطالب الذي يجب ان يصنع تلفوناً او منظاراً او بعبارة أخرى يجب ان يكون المختبر محلاً تكثر فيه آلات النجارة وشغل المعادن على قدر ماتكثر فيه الاواني الزجاجية والاجهزة النحاسية .

وهذه اللاحظات تنطبق على جميع المدارس دون استثناء فكل مدرسة ابتدائية يجب ان يكون لها مشغل خاص بها منعزل عن بناية التدريس خوفاً من الضوضاء والازعاج حيث تعلم الاشغال اليدوية وحيث يجري الطلاب اختباراتهم الطبيعية ويسمعون المحاضرات وصفوة القول يجب ان يكون ذلك المشغل محلاً يجري فيه الطلاب مايعن على بالهم من الاختباراوات والتجارب التي تحتاج الى مكان فسيح والى استعمال آلات وأدوات . ولا تنحصر فائدة هذا الترتيب في جعل درس الطبيعيات درساً حياً محبباً للطلاب بل تخلق صلة بين درس الاشغال اليدوية وبين الدروس الاخرى .

لم يتعد بحثنا بعد نقطة واحدة هي ان واجب معلم الطبيعيات تشجيع طلابه وتحبيب استقصا الظواهر الطبيعية اليهم وذلك هو اساس علم الطبيعيات فاذا خلقنا ذلك الميل فى نفوس الطلاب اصبحت مسألة خلق الاسلوب العلمي مسألة تابعة للاولى . وبدون ذلك لا يستطيع معلم ما ان يغرس فى طلابه الاسلوب العلمي مطلقاً .

(احمد طوقان)

تدريس التاريخ فى المدرسة الثانوية

ان تقدير قيمة اساليب تدريس التاريخ يجب ان يبنى على اهمية هذا الموضوع في منهج الدراسة وساحاول ان آتي بملخص عن النتائج التي ينتظر ان

نحصل من مثل هذا الدرس :

قليلون اليوم ينمون قيمة التاريخ من وجهة تجهيزه ايانا بالمعلومات . فان معرفة اشهر حوادثه هي جزء من رأسمالنا العلمي، وهي ذات فائدة دائمة للفرد ، بل فيها مايشبع رغباته ، واندهاشه . اذ يكاد لايمر يوم دون ان يقع حادث نشير اليه ، ونربطه بالحوادث الماضية ، وذلك اما من اجل الحادثة ذاتها ، او من اجل المقابلة والاستدلال ، اذ ان الحوادث الحاضرة نقدرها عادة بمقايستها مع شبيهاتها من الحوادث فى الماضي .

ومع اننا لانميل الى التشدد في مجرد حفظ حقائق التاريخ الا اننا لاننكر ان الفائدة التي تنجم عن مثل هذا التدريب هي في غاية قصوى من الاهمية . فانها تساعد على تنشئة القوى المنطقية ، وتجعل الفرد ينظر بعين حيادية الى المستقبل لا الحاضر . فاننا دائماً نسمع هذه الاقوال الدالة على الحقائق وهي « إن الزمن وحده كفيل بوضع الشؤون في مواضعها الحقيقية ، وهو وحده الذي يساعد البشر على فهم قيمة تلك الشؤون الحقيقية » . او « اننا لانزال قريبين جداً من حادثة من الحوادث لكي نفهم مغزاها الحقيقي » . فاذا كانت دراسة التاريخ تساعدنا على رؤية الحوادث بعين هادئة وبدون تغرض ، وعلى ترتيبها في تسلسلها الحقيقي ، وعلى تفهم اهميتها الحقيقية ، حينئذ فان مثل هذا التدريب ذا فائدة لاتخفى على احد .

ومن اهمية دراسة التاريخ تهذيب الذاكرة وتمرينها . وهذه الناحية من قيمة التاريخ لايتشدد فيها الآن كما كان الامر قبل ثلاثين او اربعين سنة ، حين كان يطلب من الطالب تعلم تاريخ كل حادثة مهمة . وانا اذكر يوم كنت صبياً انه كان يطلب منا ان نعرف اسماء ملوك انكلترا ، وتاريخ ملكهم . والسؤال الوحيد الذي لاازال اذكره من فحص دخولي المدرسة الثانوية

«اذكر اسماء ملوك النورمان مع تواريخ ملكهم » ومع انني اوافق بالاكثر على مايتبع الآن في تدريس التاريخ من الاقتصار على عدد من التواريخ ، الا انني لم أأسف لتعلمي تلك التواريخ يوم كنت صغيراً . فاني عندما ابتدأت اتوسع في دراسة التاريخ منذ تلك الايام ، كانت هذه التواريخ التي حفظتها تساعدني من آن الى آخر على عدم الوقوع في الغلط في تعيين الحوادث في تسلسلها التاريخي ، بما يقرب من قرن ، ولم يكن تعلم تلك الحوادث شاقاً ، لان قوة الحافظة في الصغر قوية نشيطة ، والحفظ ليس فيه كبير صعوبة . على ان هذا ليس بالحجة لحشو الدماغ بالارقام العديمة الفائدة . بل بالعكس فان التواريخ المهمة تقف كاعمدة التلغراف في طريق التاريخ العام . ولا بد من ادراك قيمة مثل هذه التواريخ ٦٦ ، ١٠ ، ١٢١٥ ، ١٢٥٦ ، ١٤٩٢ ، ١٦٢٠ ، ١٦٢٨ ، ١٦٨٩ ، ١٨٣٢ ، ١٨٦٧ ، ولهذا يجب الاهتمام بان يتعرف اليها كل طالب .

ومن الفوائد الاخرى الناجمة عن دراسة التاريخ تنشئة قوة التخيل واذا ادت دراسة التاريخ إلى أن يكتسب الطالب بعض الحقائق ، او الى تقوية قوى التفكير فحسب ، لايشمل ذلك بالاكثر الا هيكل الموضوع العظمي . على ان الطالب اذا اخذ هذه الحقائق وتمكن بواسطة التخيل الذي يقوده العقل ، محاولا ان يعيد الماضي الذي اصبح منسياً ، فانه بعمله هذا يكسو تلك العظام لحماً ودماً ، وينفخ فيها الحياة ، ويعطيها شكلا ووجوداً .

فما السن ، التي يبتدىء فيها بدراسة التاريخ دراسة بسيطة ، تناسب نمو مايصبح فيما بعد قوة التخيل ، وهي من القوى التي تساعد كثيراً على دراسة هذا الموضوع . فان في اكثر الطلاب ميلا يظهر كأنه محبة طبيعية للمعرفة التاريخية . ويظهر ذلك في الطفولة ، بما نشاهده من شغف الاطفال بالقصص

الخيالية ، وهذه الرغبة تنمو مع الوقت وتتوجه الى القصص عن الحياة الحقيقية ثم تتوسع فتشمل تاريخ حياة الرجال وسيرهم وأخيراً تصبح في التاريخ .

ثم اليس هناك مايقال عن نمو قوة الحكم فى الانتقاد عن طريق هذا الدرس . ان طالب التاريخ سواء اكان صغيراً ام كبيراً ، يتصل عن طريق مايقرأ اتصالا وثيقاً دائماً مع اعظم مفكري العالم وكتابه ، كلما حاول ان يقدر حكمهم على حوادث الماضي والحاضر ، على امل ان يحدد تفكيره تحديداً اصح .

ثم هناك الفائدة الاخلاقية التي هي من فوائد تدريس التاريخ الثانوية . فان سير الرجال العظام تبين باجلى مظهر نتائج الاعمال الحسنه والسيئه . ان القول « بان التاريخ يعيد نفسه » قد اصبح قولا قديما ، فان الاسباب المتشابهة التي تعمل في الظروف المتشابهة ينتج عنها نتائج متشابهة في اكثر الاحيان ، فالتاريخ الذي ينطبق على الحياة الوطنية والمدنية ، يمكن من ناحية ضيقة ان نطبقه على حياة الفرد . اليست قيمتنا في التاريخ ، سواء كافراد او كامم تتوقف على نوع العمل الذي نقوم به ؟

ونحن كمعلمين علينا ان نتذكر قيمة درس التاريخ من الوجهة العملية . فقد قال احدهم ان التاريخ هو « مستشار الملوك » وصحة هذا القول تتحقق بان كبار المفكرين في كل عصر وفي كل امة تقريباً قد درسوا باهتمام نشوء وسقوط الممالك العظيمة في الماضي والحاضر . ونحن مازلنا على قاب قوسين من الحرب الكبرى . وان الفشل في درس هذه العوامل درساً حقيقياً ، وتفسير الحوادث الجسام في العالم ، قد ادى اكثر من مرة الى وقوع كوارث وطنية . ولو درس سياسيو الالمان والنمساويين وملوكهم التقدم البشري بانتباه كما يتمثل في كل بلاد غربية اثناء نصف القرن الماضي ، لترجح عندنا انهم كانوا يغيرون سياستهم بما يتعلق بالحرب الكبرى تغييراً كبيراً . ولقدروا

تقدم المعرفة والعلوم ذلك التقدم العظيم ، فان بلدانهم قبل الحرب الكبرى كان لها النصيب الاكبر في هذا التقدم لاسيما فيما يتعلق بالعلوم والاساليب العلمية . ولرأوا ان تقدم المعرفة العلمية نتج عنه تقدم عظيم في قوة الامة ، وهي قوى يمكن استعمالها فى خدمة الانسانية ، ولكن يمكن استخدامها ايضاً فى تخريب المدنية التي اشتغل اليها الانسان بمشقة زائدة . وأخيراً اختاروا ان يوجهوا هذه القوى العظيمة التي اكتسبتها بلدانهم الى تلك الغاية أي الحرب ، ظانين انهم بذلك يشبعون اطماعهم التي كانوا يحلمون بها من مدة . ولو قدروا عاملا ثالثاً مهماً فى تقدم الامم على ممر الاجيال ، وهو ازدياد الشعور بين الشعوب بالحس الانساني الذي يتمثل في نواح مختلفة ، اقول لو فعلوا ذلك فلربما كانوا اختاروا طريقاً آخر . ولو فهموا مزاج الشعوب المتمدنة في هذه الناحية ، اي الحرب ، لخلص الحرب من نواح وحشية مزعجة فيه . وهناك حالات اخرى عن ملوك ووزراء عجزوا ان يفهموا التاريخ فهماً حقيقياً اما لعجزهم عن ذلك أو لعدم ارادتهم ذلك .

ولا لزوم لان ابحث في فائدة درس التاريخ وعلاقته بتحسن اسلوب الكتابة والخطابة . وقد ازداد الاهتمام بقيمة التاريخ من هذه الناحية ، واخذ معلمو اللغة الآن ينتخبون لحفظ طلابهم وانشائهم الشفهي المواضيع التاريخية . ولا ريب انه من المفيد جداً البحث في موضوع تاريخي يشترك فى بحثه عدد كبير من الصف فى الانشاء الشفهي فان هذا يجعل الصف يتكلم فى موضوع لايمكن ان يأتي فى المكالمة الاعتيادية .

وليس القصد من ذكر هذه الفوائد ان يوجه المعلم انظار الطلاب مباشرة اليها ، كلا فان هذه الفوائد يجب ان تنمو لاشعوريا كلما تقدم التدريس .

اما فيما يتعلق بمقام التاريخ فى المنهج فقد كان هذا العالم الى عهد قريب

يشغل مركزاً غير ثابت في المنهج ، اذ بعد أن تعطى الدروس الصعبة وقتها الكافي ، كان يقسم ما يبقى من الوقت بين التاريخ والجغرافيا . بل في احيان كثيرة لم يكن ينظر الى مقدرة المعلم ، بل قد كان يعلمها احياناً معلمو الرياضيات او العلوم ، الذين ربما كانوا يحسنون تدريسها كاحسن المتخصصين . على ان هذه الحالة زالت الآن . فان الحرب الكبرى وما تلاها من الاحوال قد نبهت رغبة الامم والافراد الى دراسة التاريخ اكثر من أي زمن سابق . ونتج عن حصر اقوى ادمغة الامم التي اشتركت فى البحث العلمي الطبيعي ، اكتشافات واختراعات عظيمة للعالم في بحر ثمان او عشر سنوات ما كانت لتخترع في ستين أو سبعين سنة . فلم يكن من نتيجة ذلك ان احدثت انقلاباً صناعياً خطيراً فحسب بل ان الفضاء والزمن قد تغيرا . فان اوروبا اقرب الآن الى اميركا ، والشرق اقرب الى الغرب من أي وقت مضى . وكان من نتيجة ذلك ان الامم اصبحت تؤثر على غيرها ، وحياة الافراد على الآخرين مما لم يعهد له مثيل قبلا . فهذه ولدت ميلا ورغبة في درس شؤون العالم من قبل الكثيرين ، وماشى ذلك ميل للرجوع الى الماضي ، لعلنا نقدر الحالات الحاضرة بالنسبة الى الماضي . وبناء عليه فقد ازدادت قيمة درس التاريخ ، واصبح هذا الموضوع الآن فى مركز يليق بقيمته لفوائده من جهة المعلومات ومن ناحية التهذيب والثقافة . وفى كثير من المدارس تخصص حصة كل يوم على مدار السنة لجميع الصفوف التي يدرس فيها التاريخ .

وهذه الرغبة المتزايدة في دراسة التاريخ قد حسنت اساليب تدريسه وتجهيزاته . وخصصت غرف خاصة بالتاريخ في بعض المدارس ، علقت فيها الخرط والواح الاعلانات والجداول ، ووضع فيها الخزائن والرفوف ، وجهزت بالكتب والمصادر والاطالس . ووضع فيها فانوس سحري للاستفادة منه .

واذا لم يكن كذلك فان الفانوس الموضوع في غرفه المحاضرة يستفاد منه في دراسة التاريخ ومن الضروري ان تجهز غرفة التاريخ بالفانوس السحري، وبالستائر .

ولنأت الآن الى دراسة التاريخ الفعلية ، فمن الطبيعي ان يسأل المعلم نفسه هذا السؤال ، « كيف اعالج الموضوع لاساعد طلابي على الوصول الى المستوى المطلوب فى الفحوص ،ولكي احبب اليهم هذا العلم واجعلهم يرغبون في درسه من اجل الدرس فقط » . واليك ماقاله لي احد المعلمين واعتقد انه كان يقوم بتأدية هذه الواجبات قال : « اذا استطعت ان اشعر في آخر السنة انني ساعدت طلابي على اكتساب محبة التاريخ ، شعرت ان جهودي لم تذهب عبثاً » ولهذه الكلمات مغزى عظيم . فاذا تعلم الطلاب ان يحبوا التاريخ فلا خوف ان يخشى المعلم نتيجة الفحوص ، او فقدان الرغبة الدائمة عند الطلاب في درس هذا العلم .

وقبل ان ابحث في الاساليب العامة لهذا الدرس لااود ان اقابل بين مختلف الاساليب المتبعة وانما اقصد تقديم بعض ملاحظات ، مما شاهدته اثناء تفتيشي وتعليمي هذا العلم .

كان لبيئة الشعوب الجغرافية في جميع العصور تأثير مهم على نموها الجسدي والعقلي ، ولهذا فقد كان لها الاثر الاكبر في تكوين حياتهم وتقدم مدنياتهم . ولتوضيح هذه النقطة اذكر كيف تمشت المدنية من الشرق الى الغرب ، متبعة اسهل الطرق ، اي اشهر مجاري الانهار ، كالفرات والدجلة والنيل ثم مرت الى جزر وشواطىء البحر المتوسط في ذات خطوط الطول تقريبا . ثم لما شاخت مدنيات البحر المتوسط من جراء الترف، والفسق واصبحت عديمة الفعالية انتقلت اقوى عناصرها من نتيجة عمل يوليوس قيصر فى بلاد الغال ، الى الشعوب الفتية

فى اواسط اوروبا وشمالها . ونعلم ان عوامل المناخ كان لها اثر فى صوغ المدنية الاوروبية الغربية . ونعلم ايضا الدور الذي لعبته انكلترا وعلاقة مركزها الجغرافي وما استطاعت أن تقوم به نتيجة ذلك . بل اذا رجعنا الى العصور الحديثة وجدنا ان ثورة الولايات الاميركية الثلاث عشرة كانت الى درجة ما ، نتيجة حياة اولئك حياة حرة بين الاحراج ، والبحيرات والانهار الواسعة فى البلاد الطلقة ، والى ان القائمين بالامر فى انكلترا فى ذلك الوقت لم يقدروا اهمية هذه الروح . اما في جنوبي افريقيا ، فان العوامل الطبيعية كانت دائماً سبباً لوجود العقبات العظيمة امام التنقليات السريعة وتبادل التجارة والعلاقات الاجتماعية . واذن فان محيط (البوير) الجغرافي مثلا كان له اثره الطبيعي على اخلاق السكان . فقد كانت فكرة المحالفة لاولئك المستعمرين حديثة جداً ليفهموها ولهذا قاوموا اقتراحات انكلترا . فقد كانت الحياة الكاملة فى نظرهم نوعاً من الكيان البدوي تسيطر عليه سلطة حاكمة قريبة منهم يرأسها احد افرادهم .

وبالنظر لما ذكرته وهذه امثال بسيطة من كثير غيرها ، عن تأثير الجغرافيا على التاريخ ، يتراءى لي ان دراسة التاريخ يستحسن ان تبدأ بان يقدر الطالب علاقة جغرافية البلاد التي يريدون درسها والشعوب التي تسكنها . انظر الى التأثير الجغرافى فى حياة بريطانيا التاريخي فانه متغلغل فى اعماق تاريخهم ويقال مثل ذلك عن اميركا وجنوبي افريقيا وزيلاندة الجديدة واستراليا . بل يصح ذلك اكثر على ما يتعلق بتاريخ دول البحر المتوسط وبلاد اليونان على الاخص فاذا درس الطلاب جغرافية اليونان دراسة جيدة تحت قيادة المعلم وارشاده ، استطاعوا ان يتنبأوا عن الشيء الكثير من نمو التاريخ اليوناني فان قربها من الشرق وتعرج شطوطها الشرقية التي جهزتهم بموان حصينة وتلك

المجموعة من الجزر التي هي كالعتبة قربت اليهم التجار من الشرق، بل ان كيفية امتداد البلاد الى البحر جنوبا وكونهـا منفصلة عن فعل الرياح الباردة بسبب وجود الجبال العالية فى شمالها التي تقسم تساليا وايبروس عن مكدونيا ثم قسمة البلاد الى قسمين عظيمين بخليج كورنثوش وسارونيك ثم طبيعة البلاد الجبلية ، جميع هذه العوامل كان لها الاثر الاكبر فى الشعوب التي دخلت اليونان فى « موجات » متتابعة فاندمجت فى السكان الاصليين او اجلتهم عن بلادهم؟

(تأتي البقية)

حياة الحشرات

يظهر ان اكثر الناس يفكرون ان الحشرات تمر في اطوار مختلفة في حياتها . لكن ماهي هـذه الاطوار وكم عددها وما آخر درجة فيها ، كل هذه لاتزال غامضة على بعض العقول . ويسأل البعض احياناً الى ماذا يتحول الجندب ؟ وهل تتحول دودة الارض الى حيوان آخر ؟ وماذا يحصل للخنفساء ؟

بالحقيقة ان معظم الحشرات تمر في اربعة اطوار — البيضة ، والدودة (الطور الثاني) (والطور الثالث) ، وحالة البلوغ التام (الطور الرابع) وبعد ذلك تموت الحشرة ثم تبدأ اطوار الحياة ثانية فتبدأ بالبيضة التي تحتوي عليها الحشرة قبل موتها فى الدور الثالث او الرابع .

ويمكن توضيح هذه الاطوار الاربعة بتقديم امثلة معروفة فاذا تركت قطعة لحم فى الصيف معرضة فلا تمضي دقائق قليلة الا وقد اجتمع عليها عدد من الذباب المدندن . وهذا النوع هو ليس من الذباب البيتي بل هو اكبر منه وله

لون ازرق فلزي . وربما قبل مضي ساعة تجد على قطعة اللحم عناقيد صغيرة من البيض الابيض الاهليلجي الشكل . وهذا البيض يمثل الطور الاول في حياة هذه الحشرة . وبعد ساعات قليلة يفقس البيض وتخرج منه ديدان صغيرة تمثل الطور الثاني من حياة الذبابة . وتقتات هذه الديدان على قطعة اللحم وبعدما تبلغ حجماً معيناً تلتجيء الى مكان يقيها وتبني غلفاً تشبه قشرة البيضة ويحصل داخل كل غلاف تغير عظيم وهو ان الحشرة تنتقل من الطور الدودي الى حشرة تامة البلوغ . وبعد ايام قليلة ينشق الغلاف من الداخل وتخرج منه ذبابة تامة مثل الذبابة التي وضعت البيض اولا وفي هذه الحالة تتم اطوار الحياة للذبابة . ثم تذهب الذبابة البالغة اذا كانت انثى وتفتش لها على قطعة لحم أو مكان مناسب لتضع بيضها فيه .

كلنا يعرف الفراشة البيضاء التي تظهر في اول الصيف طائرة في الجنائن وهي فراشة الملفوف . وعندما تجد هذه الحشرة نباتة ملفوف او نباتة أخرى من فصيلتها مثل القنبيط او اللفت تضع بيوضها الصغيرة التي لاتزيد على رأس دبوس على اوراقها . ثم تفقس هذه البيوض ديداناً صغيرة تقتات على اوراق النباتة التي توجد عليها . وتكبر هذه الديدان حالا ويضيق جلدها عليها فينشق من جهة ظهرها وتخرج منه دودة جلدها واسع عليها . وتغير الجلد هذا يحصل عدة مرات الى أن تصبح الحشرة قدر بوصة . ثم تجد الحشرة مأوى لها وربما تحت ورقة النبات التي كانت تقتات عليها أو في السياج وتلصق نفسها افقياً بخيوط حريرية تنسجها . وتدخل الآن في الدور الثالث وتتغير من الشكل الدودي الاخضر وتكون غير قادرة على عمل شيء . واذا كان أول الصيف فانها تخرج بعد ايام قليلة على شكل فراشة بيضاء تامة البلوغ، وأما اذا كان آخر الخريف فانها تبقى في الطور الثالث ولا تتحول الى فراشة الا في الربيع التالي .

ويمكن لمربي النحل ان يرى اربعة اطوار النحلة بوقت واحد . فاذا رفع غطاء القفير ثم رفع باعتناء قرصا بخلاياه الشمعية المسدسة فانه يرى في بعض هذه الخلايا بيوضاً بيضاء صغيرة وضعتها الملكة واحدة في كل خلية ويرى في الخلايا المجاورة بيوضاً قد فقست ، ديدانا صغيرة من وقت قريب ويقدم النحل العمال لها الطعام الذي يجلبه من الحقول ويرى في خلايا اخرى ديدانا كبرت حتى ملأت الخلايا. والعمال تغطي هذه الخلايا بالشمع كي تمر الديدان الى الطور الثالث بسلام . ويرى ايضاً نحلا تامة البلوغ تثقب رؤوس الخلايا وتخرج منها . واذا راقبت قفير الزنابير فانك تشاهد الاطوار الاربعة كما في النحل غير انه ليس كل الحشرات تمر في الاطوار الاربعة الآنفة الذكر . واذا راقبت الجندب الاخضر الكبير ترى انثاه احياناً في الخريف غارزة طرفها في التراب وتكون قد حفرت هذه الحفرة بآلات الحفر التي على طرفها وهي الآن تضع بيوضها في قاع هذه الحفرة . وتبقى هذه البيوض طيلة الشتاء . أما كيفية مقاومتها للبرد والجليد فهذه عجيبة لانها تكون على عمق قيراط فقط . وعندما يأتي الربيع وتدفأ الارض تفقس البيوض ليس ديدانا بل مخلوقات صغيرة تشبه البالغة منها تقريباً . وبتكرار خلع جلدها تكبر وتقارب البالغ منها شكلا . وعندما تخلع جلدها لآخر مرة تظهر لها زوجان من الاجنحة وتكون اذ ذاك قد بلغت وأصبحت تامة النمو . ويلاحظ ان هذه الحشرة لم تمر في الطور الثالث بل منذ تفقيسها تشبه امها .

والحشرات التي تتطور مثل الجندب يقال ان اطوار حياتها ناقصة .

وقملة النبات التي تشاهد على نبات الجنينة هي حشرة ناقصة التطور فانها بعد التفقيس من البيض تشبه امها شكلا لكنها اصغر منها حجما وهي لا تمر في الاطوار التي تمر فيها ذبابة اللحم والفراشة والنحلة والزنبور . وبالحقيقة ان قمل النبات يقفز احياناً من فوق الطور الاول .

الحكم الجمهوري عند الرومان

أن شكل الحكم عند الرومان في مرحلته الاولى كان شكلا ملكيا وذلك حسب الوثائق التاريخية التي استطاع المؤرخون الوصول اليها . يرأس هذه الحكومة الملكية ملك ينتخبه الرومان جميعهم في مجلس الجماعة ويبقى ملكا طول حياته يرأس الاحتفالات الدينية العامة ويعين المفوضين والوكلاء دع عنك انه القاضي الاعلى في حسم المشاكل المهمة والقائد العام اثناء الحروب. ويعاونه في الحكم هيئتان: احداهما مجلس الشيوخ (The Council of Elders) وكان ينتخب اعضاءه الملك من الطبقة الخاصة او طبقة الاشراف اوالبطارقة (Patricians) والثانية الجماعة العامة وكانت تضم جميع الاحرار الذين لهم الحق في حمل السلاح والخدمة في الجيش.

وقد كان الجمهور ينقسم آنذاك حسب المصادر الرومانية الى ثلاث قبائل (Tribes) وكل قبيلة تشتمل على عشر حمائل (Curies) وهذه على عشر عشائر (Clans) والاخيرة على عشر عائلات.

ويقال ان شكل الحكم الملكي القديم استمر ٢٤٤ سنة اي من ٧٥٣ — ٥١٠ ق. م. يوم كان آخر ملوكهم (تاركون المستبد) (Tarquin the Tyrant) وقد كان الملوك فى اثنائها ظلمة طغاة جبارين. ولما سئم الاهلون حكمهم ولم يعد فيهم احتمال جورهم هبوا لمقاومتهم وابعدوهم عن البلاد، ولذا تبع هذا الحكم الاول حكم آخر هو حكم الارستقراطيين من نبلاء الطبقة الخاصة (Aristocracy of Patrician Nobles) او الحكم الجمهوري وذلك من سنة ٥٠٩ — سنة ٤٤٩ ق.م. وانتقلت حقوق الملك

الى رئيسين يختاران كل سنة لولاية الحكم في البلاد كل منهما يسمى قنصلا (Consul) وقد جرت العادة في اختيارهما ان يجتمع ابناء البلاد في يوم معلوم من ايام السنة ويخرجون جميعا الى مكان معين حاملين اسلحتهم وعددهم الحربية . وهناك يختارون هذين الرئيسين حتى اذا تم ذلك كان لهما نفوذ كبير فى جميع شؤون الدولة . ولكن هناك عاملين كانا يقللان من تمادي سلطة هذين الرئيسين او القنصلين وهما : احتمال اختلاف كل واحد منهما لما يقرره الثاني بشأن المسائل العامة وزمن حكمهما الذي كان لايتجاوز السنة الواحدة، اضف الى ذلك النصائح التي كان يسديها اليهما مجلس الشيوخ (Senate) او مايعادل مجلس الملك زمن الحكومة الملكية . غير ان رأي هذا المجلس كان استشاريا محضاً لايتقيد به القنصلان ولا يلزمهما اتباعه على انهما ما كانا يميلان الى مخالفته في احوال كثيرة . وكان عدد اعضاء مجلس الشيوخ ثلاث مئة عضو. ويشترط ان لايقل عمر العضو فى هذا المجلس عن ست واربعين سنة ويشغل النائب منهم هذا المركز طيلة حياته ، وبما ان مجلس الشيوخ هذا يتألف من اعضاء دائميين خلاف رؤساء الحكومة الذين كانوا يتغيرون سنويا فقد كان اذاً مجلس الشيوخ مستودعا لاختبارات عدة، وأُساً للعادات العامة . وقد بدأ مجلس الشيوخ حياته زمن الحكم الجمهوري كأداة للطبقة الخاصة اي البطاركة وكمركز لمقاومة مطاليب الطبقة العامة او البلبيان (Plebians) . اذ كان بروما فى اوائل ايام الجمهورية طبقتان من السكان هما الاشراف (البطارقه) والسوقة او الطبقة العامة (البلبيان) وكان هؤلاء اذلاء محتقرين لا نصيب لهم فى خدمة الحكومة ولا فى حضور الاحتفالات الدينية ولم يكن لهم ان يتزوجوا من الاسر الشريفة او ان يخدموا فى جيوش الدولة بل ماكان احد من الاشراف ليحسبهم في عداد الشعب الرومي مطلقاً .

المجالس : يغمض تاريخ المجالس فى هذه السنين الاولى من الحكم الجمهوري ويقول التاريخ ان انتخاب اول قناصل او حكام روما كان على يد مجلس الفصائل (Assembly by Centuries) وقد كان هناك مجلسان فى آن واحد وهما :

(١) مجلس الحمائل (Curies)

(٢) مجلس الفصائل (Centuries)

ولا يعلم بالضبط ما اذا كانت جميع الطبقة العامة داخلة فى هذه المجالس وهناك مايشير الى عكس ذلك . وقد كان كل من يصل من الرجال سن العسكرية يدخل في مجلس الفصائل وعلى كل فقد كانت فكرة مجلس الحمائل مبنية على طريقة وراثية وفكرة مجلس الفصائل مبنية على مقدار ماللفرد من الاملاك .

وقد كانت طبقة العامة تجتهد كي تجد منفذاً تتوصل بواسطته الى شيء من مطاليبها اذ ساءت احوالهم كثيراً . فالاراضي كانت بيد الاغنياء ولذا كانوا غير راضين عن الاحوال فخرجوا جميعهم خارج المدينة ولم يقبلوا بالرجوع ثانية الا تحت شروط ادت الى عقد اتفاقية خطيرة . وهذه الاتفاقية مهمة جداً اذ أنها فى الحقيقة اعتراف بالطبقة العامة وأنها كتلة لها كيانها في المملكة الرومانية . وقد الحت هذه الطبقة على أن يكون لها موظفون يشرفون على مصالحها وقد ساعدهم على النجاح فى ذلك احتياج الخواص لهذه الطبقة من الوجهة العسكرية آنذاك . ويقول مصدر آخر عن هذه الطبقة العامة « ولما تبصر هؤلاء فى شؤونهم وجدوا أنهم هم الايدي العاملة فى الدولة وأنهم فى الحقيقة اصل ثروتها وأساس نهضتها لم يرضوا البقاء على هذه الذلة وهذا الضيم فناوأوا الاشراف وغاضبوهم وقام من أجل ذلك بين الطبقتين نزاع طويل دام اكثر

من مائتين وخمسين سنة تخللتها فترات قصيرة سادت فيها السكينة والهدوء وقد كانت خاتمة هذا النزاع أن هجر البلبيان مدينة روما واعتصموا بجبل هناك يدعى الجبل المقدس واعتزموا أن ينشؤوا لانفسهم هناك مدينة يستقلون بشئونهم فيها فذعر الاشراف من أجل ذلك وهالهم مااعتزموا عليه لأنهم لايستطيعون العيش بدونهم فارسلوا اليهم يسترضونهم ويطلبون النزول فى الامر على حكمهم فرجعوا الى المدينة وقد استوثقوا من صلاح أمورهم واستقامة شئونهم ومن ذلك تألف مجلس تشريعى من عشرة اعضاء عهد اليه في تنقيح الشرائع الرومية ونظمها فى دستور فتم ذلك فى سنتي ٤٥١ و ٤٥٠ ق ٠ م ٠ وقد شمل هذا الدستور الجديد جميع الاحكام الخاصة بالثروة والحقوق السياسية والدين ٠

وقد دعوا هؤلاء الموظفين من الطبقة العامة بزعماء قبائل العامة (Tribe leaders of the commons) اوالتربيون (Tribune) وقد كان عددهم فى بادىء الامر اثنين ثم اصبح خمسة فعشرة ٠ وكانت واجباتهم تنحصر في :

(١) حماية الطبقة العامة من ظلم الطبقة المالكة

(٢) لايحق لهم قيادة الجيش الا اذا كان عمل التربيون محصوراً من هذه الوجهة ضمن جوار المدينة

(٣) يحق للتربيون أن يتداخل اذا وقع خلاف بين قنصل وآخر ٠

وهكذا فان النزاع السياسي الطويل الذي كان بين العامة والخاصة لم يسبب تمزيق المملكة الرومانية اذ أن الطبقة الحاكمة رغم عنادها عرفت كيف تكيف نفسها وتسلم لبعض مطاليب الطبقة العامة عند الحاجة .

مسئولية القنصل اوالحاكم :

ليس هناك هيأة رسمية يخولها القانون ويحق لها الاشراف على اعمال الحاكم

وليس هناك من قوة تجبر الحاكم ايضاً أن يقف موقف المتهم ولذا فهو من هذه الوجوه يعد غير مسؤول عن اعماله . أما في مسائل سن القانون فترجع ايضاً اذا بحث فيها من وجهة نظرية الى الحاكم غير انها من وجهة عملية قد اعتاد الحاكم مشورة مجلس الشيوخ وهكذا فالاخير أصبح له من التأثير على الاول الشيء الكثير . فهو الذي ينتخب من يثق به للحكم وهو الذي يشير على الحاكم او القنصل في انتخاب الدكتاتور اثناء الحرب وهو الذي يلح عليه في انتخاب رجال اكفياء للخدمة معه .

واذا تتبعنا الاعمال التي ظهرت في هذا الزمن الجمهوري اي من سنة ٥٠٩ — ٤٤٩ ق . م . رأينا انه سنة ٤٥٦ ق . م قسم تل افنتاين (Aventine Hill) الذي كان ملكا للدولة ووزع اقساما على الفقراء من الطبقة العامة . وفي سنة ٤٧١ ق . م . خول القانون الطبقة العامة عقد جلساتهم مرتبين ترتيبا قبائليا بدلا من ترتيبها ترتيبا عائليا .

ويقال انه في سنة ٤٦٢ ق . م . بدأ التريبون يهاجم السلطة المخولة بيد القناصل واقترح ان تعين لجنة لسن قوانين جديدة وقد توفق التريبون الى ذلك فيما بعد وأرسلت لجنة مشكلة من ثلاثة اشخاص الى بلاد اليونان ... وا قوانين عدة ممالك فيها وخصوصا قوانين صولون في اثينا فكانت نتيجة جهودهم قوانين الالواح العشرة سنة ٤٥١ ق . م . وقد عرضت هذه لانتقادها وبعد ادخال بعض الاصلاح عليها اصبحت قوانين بعد ان صادق عليها مجلس الفصائل وبعد مرور سنتين اضيفت اليها لوحتان فاصبحت والحالة هذه اثنتي عشرة لوحة علقت في الاسواق وصارت الشرائع الجديدة تعرف منذ ذلك الحين بشريعة الالواح الاثني عشر . قال شيشرون كانت شريعة الالواح الاثني عشر منبع التشريع الرومي باسره وقد كان اطفال المدارس بعد اربعة قرون من وضعها

يحفظونها عن ظهر قلب . وكانت تبحث هذه القوانين التي اخذ قسم كبير منها في بلاد اجنبية عن الملك ، حقوق العائلة ، الوراثة ، العقود ، العادات المألوفة الحسنة وكثير غيرهم

الجمهورية من سنة ٥٤٨—٣٦٧ ق. م. : حرم القنصل فى هذا الدور حق تعيين الموظف الذي يليه في الاهمية المدعو (كوستر quaestor) وفى سنة ٤٢١ ق. م. صار عدد هؤلاء الموظفين الذين يلونه اربعة بدلا من اثنين واصبح لطبقة العامة الحق فى اشغال هذا المركز اذا كانت اهلا لذلك . فاننا نجد ثلاثة من اربعة من هؤلاء الموظفين سنة ٤٠٧ ق. م. ينتسبون الى الطبقة العامة . وفى هذه المرحلة من الجمهورية تقوى مجلس الشيوخ وذلك لعاملين :

(١) حدوث مشاكل سببت لمجلس الشيوخ اتباع السياسة التي توافق الظروف وذلك لاختبارهم السياسي .

(٢) وقد دخل فى يدهم حكم البلاد والنظر في سياستها على شكل تدريجي . وقد كانت واجباتهم ارشاد رؤساء الجيش ، التعامل مع الحلفاء ، النظر في الحروب ، عقد المعاهدات مع الاعداء والنظر في السياسة الخارجية ، مراقبة الشئون المالية و لاشراف عليها وما يتعلق بالديون والمصارفات العامة . كل هذه الواجبات أتت عن طريق العادة لا عن طريق القوانين المكتوبة .

والمجالس في هذا الدور كانت ثلاثة : مجلس الحمائل ، مجلس الفصائل ومجلس القبائل اما الاول فكان من الوجهة العملية يكاد يكون عديم الاثر الا في بعض حالات دينية . اما المجلس الثاني فعهد اليه التشريع والاستئناف فيما يتعلق بالقضايا الكبرى كاقتراف جريمة القتل واعلان الحرب . اما الثالث فكان يسعى جهده للوصول الى الاشتراك فعلا في التشريع ومن هذه المجالس كانت تؤخذ السلطة النهائية .

وفي هذا الدور من الجمهورية اي من سنة ٤٤٨ – ٣٦٧ق. م. استطاعت الطبقة العامة ان تتزوج من الطبقة الخاصة اذ قد تحسن حال الطبقة الاولى وذلك لاستيلائهم على بعض الاراضي ولتأسيسهم بعض المستعمرات في اراض جديدة استولوا عليها .

الجمهورية من سنة ٣٦٦ – ٢٦٥ ق. م. في هذه المرحلة قل كثيراً تأثير الاشراف الذين كانوا ينتسبون الى عائلات كبيرة واستعيض عنهم باصحاب الاموال الذين تبوأوا مركزا اجتماعيا جديدا واصبح الحق في انتخاب القناصل مفتوحا لكل من العوام والخواص . ولما استقر نظام الحكم السياسي اشرأبت اعناقهم الى توسيع ملكهم وبسط نفوذهم على البلاد المجاورة ولذا فقد بدأ دور الاخضاع الرومي واصبحت روما سنة ٢٦٥ ق. م. سيدة السياسة (Mistress of Politics)

حالتها بعد هذا الدور : كادت روما ان تصل درجة الكمال سنة ٢٦٠ق.م. في تشكيلاتها السياسية الديمقراطية وكانت هذه تشمل ما يلحق المواطن الرومي من الحكم السياسي ، والقوة الرومانية . (١)

تقدموا في اوائل القرن الثالث قبل الميلاد الى ما وراء شبه جزيرتهم ، اشتبكوا مع القرطاجنيين في الحروب البونية الشهيرة وفتحوا قرطاجه . ثم غزوا مقدونية سنة ١٦٨ ق. م . وتملكوا بلاد اليونان سنة ١٤٦ ق. م .وافتتحوا ايضا جزءاً عظيما من اسيا الصغرى وكثيراً غيرها. فكانت روما والحالة هذه مركزاً سياسيا لاجزاء عدة مترامية الاطراف ممتدة من نهر الفرات شرقا الى شواطي. المحيط الاطلسي غربا ومن انجلترة شمالا الى صحراء افريقيا جنوبا .

وقد منح مجلس الشيوخ هذه المقاطعات دستوراً خاصا بكل واحدة منهم

In 260 B.C. The Democratic Organization was com, plete in share, in wealth and in *Power*,

بجيز لهم الحق في اتباع الطريق المناسبة لشؤونهم الداخلية تاركين حق التداخل في الشؤون الخارجية الى روما مركز قيادتها ورأس حركتها .

غير ان هذا الفتح وتلك القوة والنفوذ والعظمة عقبها انقلاب كبير في المسائل الاخلاقية والاجتماعية والسياسية . ففسدت اخلاق الفرد الروماني وانغمست هيئاتهم الاجتماعية بالملاذ وغاصوا في جو فاسد وكذلك زعماء السياسة عندهم وقائدو دفة سفينتهم . فاصبح كل منهم انانيا لا ينظر الا الى مصلحة نفسه والى ما يعود عليه بالنفع الفردي الخاص وهكذا كان حال مجلس شيوخهم سنة ١٤١ ق . م . وعقب هذا التدهور بعض الاصلاح ولكن عبثا حاولوا ذلك اذ ان جميع نقاط الضعف كانت تشير الى لزوم ايجاد رجل قوي البطش شديد الارادة يقبض على زمام الامور بيد من حديد . فادى ذلك كله في القرن الاول للميلاد الى حكم رجل قدير جدا في الشؤون الدستورية الا وهو يوليوس قيصر ولكن يوليوس قيصر قتل وخلفه اكتافيوس الذي حكم مدة ٤٤ سنة والذي نهج في حكمه منهج الحكمة . وما زال هذا ينتزع السلطة المتفرقة من ايدي القضاة والولاة ويخص نفسه بها حتى اصبح كل شيء في يده سنة ٢٧ ق . م . فلقب نفسه بلقب اغسطوس . وكان عصره ازهى عصور الدولة الرومانية وارفعها شأنا . فكان ذلك بداءة الحكومة الامبراطورية ونهاية ايام الجمهورية .

وصفي عنبتاوي

المصدر :

A Short History of The Roman Republic.
W .E. Heitland

الحياة الدستورية في القرون الوسطى

ميزة المؤسسات الجرمانية القديمة

تعتري الدهشة المرء عندما يطلع على الحياة الدستورية التي ازدهرت عند اليونان والرومان لشادة دمقراطيتها حتى يخيل اليه انها بلغت في كلتيهما اسمى ما تبلغه الحياة الدستورية عند اي دولة من الدول ، ولكنه يخيب ظنه عندما يتحقق ان هذه الحياة الدستورية التي لم يخلق مثلها في التاريخ القديم قضي عليها واحدة بعد اخرى عندما هدمت دولتا اليونان والرومان بالتتابع ولم يبق لها اثر في عقول الناس فاصبحت نسيا منسيا وقطعت حلقة الاتصال التي تربط الامتين بامم القرون الوسطى فيما يختص بالحياة الدستورية ولم يحظ العالم بشيء منها ليتخذها مثلا يقتدي به او اساسا يبنى عليه صرحا لحياته السياسية

اما الحياة الدستورية التي بذرت فى القرون الوسطى وازدهرت فى الحديثة وما زالت تنبت نباتا حسنا فهي وليدة المؤسسات الجرمانية القديمة لان المجالس النيابية كما نعرفها لا ريب فى انها قد تحدرت الينا عن تلك المجالس . فالحياة الدستورية المنتشرة اليوم في مشارق الارض ومغاربها لهي الميراث الدائم الذي خلفته قبائل الجرمان الى الامم الحديثة فى عهدنا هذا . فانه نما فى اوربا اولا ثم انتقل منها الى اميركا فالامم الشرقية الحديثة .

اذا كان الحال كذلك اصبح من الواجب علينا ان نستهل هذا الموضوع بوصف تلك المؤسسات الجرمانية وبعدئذ نتتبع التطورات التي طرأت عليها حتى اوصلتها الى ما هي عليه فى يومنا هذا .

الحياة الدستورية عند القبائل الجرمانية القديمة

كان الجرمان فى دور حياتهم الاول يعيشون عيشة قبائلية . وهذا الدور القبائلي هو من اول الادوار التى تجتازها كل امة فى تطورات حياتها لان الحكومة المنظمة لم تنشأ الا تدريجيا ووجودها فى امة من الامم لدليل واضح على تدرج تلك الامة في سلم المدنية . فعندما نتناول البحث عن حياة القبائل يجب الا نتصور ان الفوضى مخيمة فى ربوعها والنظام مفقود تحت سمائها او ان النظام التام سائد فيها حتى ان افرادها لا يأتون باي عمل مخالف للقانون . بل ان تلك المعيشة هي عبارة عن حياة خاضعة للتقاليد والعوائد بطيئة التطور لينة التطبيق قليلة التجانس . فليست هنالك قواعد كلية ولا قوانين عمومية وماينبغي ذكره فى هذا البحث فهو صورة مجملة للحياة الدستورية عند القبائل الجرمانية جامعة للخصائص العامة فيها . اما المؤسسات التي ترتكز عليها هذه الحياة فهي تتألف من الملك ومجلس الشيوخ ومجلس القبيلة .

١ . — الملك

لم يكن عند اكثر القبائل الجرمانية ملوك فى البدء ولكن هؤلاء اخذوا يظهرون تدريجيا بنمو القبائل واتحاد بعضها مع بعض . فكان الملك منتخبا عادة من بين افراد عائلة نبيلة ممتازة يرشحه الشيوخ ويصادق على انتخابه مجلس القبيلة وكانت العادة بعد اجراء الانتخاب ان يقدم الملك الى رعيته على ترس يحمله شرذمة من الشجعان الاقوياء .

اما الامتيازات التى يتمتع بها هذا الملك فهي ان يترأس الكهنوت في اوقات العبادة ويقضي لافراد شعبه فيما يقوم بينهم من النزاع ويقود الجيوش اثناء الحرب ويعقد المحالفات بعد ان يحوز على مصادقة شعبه عليها فى ايام السلم .

٢ . — مجلس الشيوخ (Council of Elders)

كان لكل قبيلة مجلس أعلى يتألف من اقوياء المحاربين وارباب الثروة منهم وليس من اسنهم واشرفهم حسبما يتبادر الى الذهن لاول وهلة . وكلمة شيخ في هذا المعنى تطلق على ذوي الجاه والشهرة من القواد فقط .

اما وظائف هذا المجلس فكانت تشتمل على الاشراف على شؤون القبيلة. فيرشحون رئيس القبيلة او ملكها ويعينون القضاة والجباة ويعدون الشؤون الهامة التي تتطلب العرض على مجلس القبيلة للموافقة عليها ويقودون الجيوش تحت امرة الملك اثناء الحرب ويمثلون الشعب في الحفلات الدينية.

٣ . — مجلس القبيلة

يتألف هذا المجلس من كل حر بلغ سن الرشد وكان قادراً على حمل السلاح . وكان ينعقد في اوقات معينة تجعل عادة منطبقة على اوقات الهلال او البدر الا اذا كانت هنالك ظروف خارقة للعادة . وكانت هذه الاجتماعات تنعقد اما في بقعة تقع على رابية او في مكان مقدس او في نقطة خالية من الاشجار في وسط غابة . وكان الملك يترأس هذا المجلس ويجلس حوله الاحرار في حلقة يستمعون لما يتلى عليهم ويعبرون عن موافقتهم عليه بقعقعة السلاح وعن عدم استحسانهم بالصراخ .

ولقد كان هذا المجلس يتمتع بالسلطة العليا عند الجرمان . فكان مجلس الشيوخ يعرض عليه بعض الشئون الهامة في التشريع والقضاء والادارة التي لا يعمل بها الا بعد أن يقرها هذا المجلس . وكانت له السلطة المطلقة في قبولها وعدمه . وكذلك كان لهم القول الفصل في اعلان الحروب وعقد الصلح وفي يدهم المصادقة على تحرير الارقاء من عبوديتهم .

المجالس التمثيلية عند الدول الاقطاعية : —

احتفظ الجرمان بعد ان انقضى عهد غزواتهم وأصبحوا سادة في بقاع مختلفة

من اوروبا — الفرنج في بلاد الغال والقوط في اسبانيا وايطاليا والانكليز والسكسون فى بريطانيا — بعض مظاهر تلك المؤسسات التي وجدت عندهم قبل الغزوات . فقد نقلوها باجمعها معهم عندما ارتحلوا من بلادهم . ولكن المحيط الذي وجدوا فيه كان عاملا على تحوير جزء كبير منها . وتأثر الجرمان انفسهم بمدنية البلاد التى افتتحوها لانها كانت ارقى من مدنيتهم . وأصبحت الاراضي التي يحكمها ملوكهم اوسع نطاقاً بكثير مما كانوا يحكمون قبلا . فنما الحكم المركزي وقد بلغ درجة رفيعة فى عهد شارلمان امبراطور الفرنجة وزال مجلس القبيلة بعد ان اصبح من المستحيل على كل فرد حر قادر على حمل السلاح ان يفد اليه من جميع ارجاء مملكة واسعة كامبراطورية شارلمان واحفاده . فتناول الملوك مجلس الشيوخ واضافوا الى الامراء فيه كبار الدولة من اكليروس وعلمانيين . فاستعيض بهذه الطريقة بمجلس واحد عن اثنين . وهذا المجلس وقد دعي بالمجلس الكبير هو النواة التي نشأ عنها في الغالب مجلس اللوردات فيما بعد . وقد كان اعضاء هذا المجلس يجتمعون للقيام بعدة واجبات اهمها تقديم المشورة للملك والحكم بالامور القضائية حسب النظم الاقطاعية . فلم يكن هنالك تمثيل صحيح في مجالس الدول الاقطاعية السياسية حتى القرن الثالث عشر اي أن الشعب لم يكن لافراده نواب ينوبون عنهم فى المجالس التي تتولى مقاليد السياسة .

المجالس المحلية : —

ولكن الدوام لم يحرموا التمثيل بتاتا فانهم وان كفوا عن حضور مجلس القبيلة ولم يكن لهم صوت في المجلس الكبير اخذوا يجتمعون في المجالس المحلية التي تنظر في الشؤون المحلية الصرفة واهمها الشؤون القضائية . فكانت

هذه المجالس عبارة عن محاكم على رأس كل منها رئيس يعطي حكم محكمته.
وقد دامت هذه المحاكم المحلية في القارة بسبب الميزة لسلطتها المحلية المحدودة الى ان استعيض عنها بالقوانين الرومانية في القرون الاخيرة وفي انكلترا الى نشوء مجلس العوام.

اما عدد درجات هذه المحاكم فكان يختلف في القارة ولكن التي عرفت منها في انكلترا في اواخر عهد السكسون كانت تنحصر في ثلاث درجات: — مجالس القرى ، مجالس المقاطعات ، مجالس الولايات.

١ . — مجلس القرية (Town—moot)

وكان هذا المجلس يتألف من جميع الأحرار القاطنين في القرية يدير شؤونه فيها رئيس (Reeve) ذو خبرة هو عادة المختار. وفيه كانت تحل جميع المشاكل التي لها مساس بصغيرات الامور فقط.

٢ . — مجلس المقاطعة (Hundred-moot)

في هذا المجلس يظهر لنا عنصر التمثيل جليا لاننا نرى فيه ممثلين عن جميع القرى التابعة للمقاطعة بنسبة اربعة احرار ومختار عن كل قرية يترأسهم حاكم المقاطعة (The Hundredman) وكان يجتمع مرتين في [illegible] ت في الدعاوي المدنية بين الاحرار والدعاوي الجنائية الصغرى

٣ . — مجلس الولاية (Shiremoot)

وهذا المجلس يظهر لنا عنصر التمثيل بدرجة أتم مما يظهر في المجلس السابق لانه يتألف من ممثلين عن جميع المقاطعات التابعة للولاية بنسبة اربعة احرار ومختار عن كل مقاطعة يضاف اليهم النبلاء والسادة الاقطاعيون وبعض الكهنة والاحرار من تلك الولاية وجميعهم تحت رئاسة حاكم الولاية (Ealderman)
وكان يجتمع مرتين في السنة للنظر في الدعاوي الجنائية الكبرى والمنازعات

القائمة بين افراد المقاطعات المختلفة ويقوم بوظيفة محكمة استئناف للقضايا التي نظرت فيها مجالس المقاطعات.

وقد اجتازت هذه المحاكم العهد الاقطاعي بكامله دون ان يطرأ عليها اي تغيير وبقيت محتفظة بالحكم الذاتي المحلي والحرية الاولية حتى انتقلت فكرة التمثيل التي مر وصفها معنا الى المجالس التشريعية فاحدثت النظام النيابي القومى الحديث

ضياء الدين الخطيب

صفحة من ماسي حياة علي ابن ابي طالب (رض)

الخوارج — فرقهم وتعاليمهم

١ تمهيد :

ولي عمر الخلافة بعد ابي بكر فكان عهده مثار الفخر في التاريخ الاسلامي، واستطاع بحكمته ان يكبح جماح البداوة، ويجعل من سكان البادية اناسا يرغبون فى اطاعة خليفتهم ويعاونون الى نشر نفوذهم وابادة عدوهم، ولذلك امتدت راية العرب في كثير من الامصار تدك رايات الفرس واعلام الرومان

وعلى الرغم من ذلك فقد قتل عمر، عمر الخليفة العادل، الذي لايعرف في الحق هوادة، وقاتله رجل فارسي، يدعوه الناس ابا لؤلؤة، ويروى انه جاء

عمر ذات يوم يشكو اليه كثرة الخراج الذي يأخذه منه سيده المغيرة بن شعبة، فقال له عمر : كيف تشكو وانت الذي يقول: لو اردت ان اعمل رحا تطحن بالريح فعلت ، قال نعم ، قال فاعمل لي رحا ، فأجاب ابو لؤلؤة موريا : ان عشت لاعملن لك رحا يتحدث بها من فى المشرق والمغرب ، وادرك عمر ما يرمي اليه هذا الفارسي فقال (لقد توعدني العبد)ومرت ثلاثة ايام وفى صبيحة اليوم الرابع ارتكب ابو لؤلؤة جريمته الشنعاء

وولى الامر من بعده عثمان بن عفان ، وظل خليفة احد عشر عاما (٢٤ - ٣٥ هـ) ولكن البون بين الخليفتين شاسع ، ذلك لان عثمان كان لينا محبا لآله ، فافقده ذلك روعة مكانته فى قلوب المسلمين ، فغدوا ينظرون اليه بغير العين التي كانوا ينظرون فيها الى عمر

اراد ذات يوم ان يوسع البيت الحرام ، فابتاع من قوم وابى آخرون ، فغضب منهم وهدم عليهم دارهم ، ولما ان صرخوا فى وجهه ، امر بهم ان يسجنوا ، وخاطبهم قائلا : — ما جرأكم علي الا حلمي ، فقد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به

وفى هذا اعتراف من الخليفة نفسه، يدل على استهانة الناس له واستضعافهم اياه ، وقد بلغ الناس في الاستهتار بهذا الخليفة حدا اعظم من ذلك ، ومما يروى بهذا الشأن ان عثمان وقف يخطب فى جمع حاشد على عصا النبي ، فصاح فى وجهه رجل يدعى (جهجاه الغفاري) : قم يا نعثل (اي الشيخ الاحمق) فانزل عن هذا المنبر ، ولم يكتف جهجاه بذلك بل اخذ العصا من يد الخليفة وكسرها على ركبتيه .

وهنالك امر اروع مما ذكر ، فان جماعة من العرب اخذت تهزأ بالخليفة وهو يخطب ، ثم راحت تحصبه حتي خر صريعا ، فحمل الى منزله في حالة يرثى لها

ذلك ما نتج عن ضعف عثمان ، وزاد فى شقاء هذا الخليفة المسكين انه كان كثير الانصياع الى اتباع لا يرومون له خيرا ، ومن هؤلاء مروان الاحمق ، الذي تقول عنه نائلة الى زوجها (فانك متى اطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة) وعمرو بن العاص الذي يقول (ان كنت لالقى الراعي فاحرضه على عثمان) والذي يخاطبه ابن عباس قائلا (يا عمرو لك يدان ، يد لا تبسطها الى خير ، ويد لا تقبضها عن شر ووجهان ، وجه مؤنس ووجه موحش ، فاصغر عيب فيك اعظم عيب فى غيرك)

ومن بطانة عثمان ، معاوية بن ابي سفيان وقد نصبه عمر واليا على الشام ، فلما انتهى الامر الى عثمان ابقاه عليها ، وكان معاوية لما شعر بحراجة موقف الخليفة قد طلب اليه ان يذهب معه الى الشام فيقيم فيها ، فابى عثمان ذلك ، وعندها قال له معاوية (سابعث اليك جنداً) ولكنه لم يف بوعده ، فان عثمان كتب اليه يطلب النجدة قائلا (ان اهل المدينة قد كفروا ، وأخلفوا الطاعة ، ونكثوا البيعة ، فابعث الي من قبلك من مقاتلة أهل الشام) ، فرمى معاوية بكتاب الخليفة عرض الحائط ، ذلك لانه كان جشعا يروم الخلافة مهما كانت طريقها ، ويقول البعض فى هذا الشأن بان معاوية ارسل جندا لنصرة الخليفة ولكن بعد فوات الوقت .

وتآزرت تلك الاسباب ، فادت الى قتل عثمان ، وعندها كتبت امرأته (نائلة بنت الفرافصه) الى معاوية بالامر وبعثت كتابها مع النعمان بن بشير الانصاري ، وارسلت مع كتابها اصابعها وثوب زوجها وعليه دمه ، وخصلة الشعر التي نتفها محمد بن ابي بكر من لحيته ، فانتهز معاوية الفرصة ووضع الثوب وما معه على منبر فى الجامع سنة كاملة ، وتهيأ للعمل على تحقيق امانيه وعول ان يستمد من كارثة عثمان سلما يرتقي بها الى اريكة الخلافة .

٢ — علي وسياسته : —

وبعد مأساة عثمان بثلاثة ايام ، انتخب الناس علياً للخلافة ، ويمتاز هذا الخليفة الجديد بشدة بأسه وقوة ساعده وفصاحة لسانه ، وسعة مداركه ، ولكنه ضعيف الايمان بضروب السياسة ويرى فيها مظهراً من مظاهر الخداع والكذب المشينين ، ولعل هذه العقيدة هي السبب في اندحاره وفشله.

اراد بعد تبوئه اريكة الحكم ، أن يرتحل الى العراق ، فنصحه ثلاثة عن العدول وهم سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن مسلمة الانصاري ، ولكنه لم يستمع الى نصيحتهم ، ثم شرع بعد ذلك يبدل ولاة الامصار الذين نصبهم عثمان عليها ، ويرسل اليها من يروم ، ويعتبر هذا العمل من غلطات الخليفة الكبرى فقد كان الاجدر به أن يتريث ريثما يتم له الامر ، واذ ذاك يصلح من شئون مملكته ما يبتغي اصلاحه .

وكان ممن ارسلهم لادارة الامصار رجل يسمى سهل بن حنيف ، وقد ولاه الشام ، وكان واليها اذ ذاك معاوية بن ابي سفيان كما ذكرنا ، وهو الذي مر على ولايته لها ما يقرب من ستة عشر عاما ، فما كاد سهل يصل تخوم الشام حتى صده رهط من جند معاوية فعاد الى علي يخبره بالامر ، فعلم الخليفة اذ ذاك ان معاوية راغب عن مبايعته ، وعندها كتب اليه يخيره في احد امرين اما الحرب او المبايعة ، وبعث كتابه مع (الحجاج بن غزية الانصاري) فلما وصل الكتاب الى معاوية صرف الرسول ، وبعث مع رجل من عبس يسمى (قبيصة) كتابا الى الخليفة ، فلما فضه علي لم يجد فيه سوى اربع كلمات هي (بسم الله الرحمن الرحيم) والبعض يقول انها كانت « من معاوية الى علي » وبينما علي في حيرة من هذا الجواب اذا بقبيصة رسول معاوية يقف ويقول : اني قد خلفت بالشام ستين الف شيخ خاضبي لحاهم بدموع اعينهم تحت قميص

عثمان رافعيه على اطراف الرماح قد عاهدوا الله الا يشيموا سيوفهم حتى يقتلوا قتلته او تلحق ارواحهم بالله .

وكان المغيرة بن شعبة ، وهو من دهاة العرب ، مقيما اذ ذاك فى المدينة فاراد ان ينصح عليا ، ويبين له خطل سياسته ، فدخل عليه قائلا (يا امير المؤمنين ان لك حق الصحبة ، فاقر معاوية على ما هو عليه من امرة الشام ، وكذلك جميع عمال عثمان) ولما لم يرتح علي لهذا الرأي ، عاد المغيرة اليه قائلا (الرأي أن تعاجل معاوية وسائر عمال عثمان بالعزل لتعرف السامع المطيع من العاصي) ولما تحدث علي الى ابن العباس بما قاله المغيرة ، قال : اما امس فانه نصح لك واما اليوم فغشك .

وصمم علي بعد ذلك على الارتحال الى العراق ، غير آبه لنصائح مريديه ، فامتنع رهط من كبار المسلمين عن السير معه ، ومما يروى بهذا الشأن أن عليا كرم الله وجهه دعا اليه بعضا من المسلمين واخذ يلومهم لتخلفهم عن نصرته ، فاجابه من بينهم سعد بن ابي وقاص بطل القادسية في عهد عمر (اعطني سيفا يعرف المسلم من الكافر حتى اقاتل به معك) ، واجابه محمد بن مسلمة (ان رسول الله (صلعم) امرني ان اقاتل بسيفي ما قوتل به المشركون ، فاذا قوتل اهل الصلاة ضربت به صخر احد حتى ينكسر وقد كسرته بالامس) وقال اسامة بن زيد بن حارثة (اعفني من الخروج معك في هذا الوجه فاني عاهدت الله ان لا اقاتل من يشهد ان لا اله الا الله)

ودخل على الخليفة بعد ذلك رهط من اشراف الانصار وبينهم عقبة بن عامر فالتمس من علي ان يعدل عن رأيه في المسير الى العراق ، ومما قاله عقبة (اقام عمر فينا وكفاه سعد زحف القادسية ، وابو موسى زحف الاهواز ، وليس من هؤلاء رجل الا ومثله معك) فقال له علي (ان الاموال والرجال

بالعراق ، ولاهل الشام وثبة احب ان اكون قريبا منها) .

ولكن حدث بعد ذلك مابدل رأى علي (رض) فان امتناع معاوية عن المبايعة دفع به الى التهيوء لارتياد ربوع الشام وقتال سكانها.

ويلمس القارىء مما ذكر نقطتين حساستين من نقاط الضعف في هذا الخليفة احداهما استئثاره برأيه ورغبته عن العمل بنصيحة مريديه وشيعته ، والاخرى احجامه عن الركون الى السياسة والثقة بضروبها ، وهذان المظهران لهما خطورتهما في حياة السياسي والملك معا ، ونظرة هادئة نرمق بها المأساة التي انتهت اليها حياة سيدنا علي تعطينا برهانا وضاء على ما نقول .

وعلينا ان نضيف الى ذلك مظهرا آخر من مظاهر الضعف في سياسة هذا الخليفة وهي شدته ، في وقت كان العرب لا يخضعون كلهم اليه ، وفي فترة من الزمن اعتاد بها هؤلاء لين عثمان وضعفه ، وقد استمد معاوية من هذه الناحية الخلقية في علي قوة اجتذب بها الناس اليه .

حدث بن ابي رافع وهو خازن بيت المال في عهد علي قال (دخل علي يوما وقد زينت ابنته ، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال كان قد عرفها فقال : من اين لها هذه ؟ لله علي ان اقطع يدها ، فلما رأيت جده في ذلك قلت : انا والله يا امير المؤمنين زينت بها ابنة اخي ، ومن اين كانت تقدر عليها لو لم اعطها ، فسكت)

فاذا كان هذا شأن عليّ (رض) فى بيته ، فماذا يكون شأنه مع الناس ، رحمه الله فقد كان يرغب في احقاق الحق وازهاق الباطل ، ولكن الدولة تحتاج الى السياسة فى كل حين .

٣ — علي وعائشة : —

ولما كان عثمان محصوراً فى بيته ، خرجت عائشة (زوج النبي) الى مكة

تريد الحج ، وتبعها بعد ذلك طلحة والزبير باذن من علي ، فلما قضوا حجهم اجتمعوا يتآمرون في مقتل عثمان ، واستقر رأيهم على ان القاتل هو علي وبطانته ، وآلوا أن يطالبوهم بدم الخليفة الصريع .

ما الذي حدا بهؤلاء الى المطالبة بدم عثمان يا ترى؟ وهم الذين تقاعسوا عن نصرته ومد يد المعونة اليه ، الم تخرج عائشة من المدينة وعثمان محصور فيهادون ان تعبأ به ؟ ثم ماذا نلمس من هذا الحديث الذي جرى بين علي وطلحة والزبير فقد ذهبا اليه وقالا له (هل تدري يا علي علام بايعناك ؟ قال نعم على السمع والطاعة فقالا لا ، ولكن بايعناك على انا شريكاك فى الامر ، قال علي : لا ولكنكما شريكان فى القول والاستقامة والعون على العجز والاود)

ثم ماذا نفهم من الزبير وهو يتحدث الى رهط من قريش قائلا (هذا جزاؤنا من علي ، قمنا له فى امر عثمان حتى اثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس فى بيته وكفى الامر فلما نال بنا ما اراد جعل دوننا غيرنا)

لا ريب ان فى ذلك ما يدل على ان عائشة وطلحة والزبير لم يثوروا رغبة في الانتصار لعثمان وانما لتحقيق اماني كانوا يصبون اليها ، فان التاريخ يؤكد ان طلحة كان يؤمل ان يكون واليا على اليمن والزبير واليا على العراق ، فلما لم يتحقق املهما سارا الى عائشة يوغران صدرها على علي ، وقد وجدا فيها ما يصبوان اليه ، لانها كانت تعطف عليهما ، فان طلحة تيمي من قومها والزبير زوج اختها ، ، ووصل كرهها لعلي حدا اصبحت لا تذكر معه اسمه ، ومما يروى بهذا الشأن انها تحدثت مرة عن النبي (صلعم) لما خرج الى الصلاة وهو مريض قالت (خرج يتهادى بين العباس ورجل آخر (وتعني به عليا) ويروى انها لما علمت بمقتل علي قالت :

فالقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

وهكذا اندفعت هذه الفئة الى اعلان الثورة على علي ، تؤازرهم جموع من المسلمين لا يعرفون مغبة الامر الذي يقدمون عليه .

وسارت جموع عائشة وطلحة والزبير الى البصرة ، يبتغون ان ينالوا منها مددا ويجعلوها مركزا لحركتهم الثوروية ، وكان عددهم الفا ، وفي طريقهم الى البصرة جاءهم سعيد بن العاص ومعه المغيرة بن شعبة ، فقال سعيد لعائشة (اين تريدين يا ام المسلمين ، قالت اريد البصرة ، قال وما تصنعين بالبصرة ، قالت اطلب بدم عثمان ، قال فهؤلاء قتلة عثمان معك (ويعني بهم طلحة والزبير) ، ثم قال المغيرة بن شعبة :(ايها الناس ان كنتم انما خرجتم مع امكم فارجعوا بها خير لكم ، وان كنتم غضبتم لعثمان ، فرؤساؤكم قتلوا عثمان ، وان كنتم نقمتم على علي شيئا فبينوا ما نقمتم عليه ، انشدكم الله فتنتين في عام واحد ؟) .

ولكن عائشة واتباعها لم يعبأوا بهذه النصائح ، وظلوا في سيرهم حتى جاءوا البصرة ، ولما وصل نبأهم عليا ، وكان قد عدل عن السير الى العراق ، وتهيأ للسير الى الشام لمقاتلة معاوية كما ذكرنا ، عاد فعدل عن السير الى الشام ورأى من الحكمة ان يبادر عائشة وصحبها قبل ان يتفاقم امرهم ، فارتحل بجيشه حتى جاء (ذا قار) في العراق ، واقام فيها ، ثم ارسل هاشم بن عتبة بن ابي وقاص وابنه الحسن وعمار بن ياسر ليستنهضوا اهل الكوفة ، فصعد الحسن (بن علي) المنبر وطلب الى اهل الكوفة ان يكونوا عونا لابيه ، فقام حجر بن عدي الكندي وهو من افاضل الكوفة فقال (انفروا خفافا وثقالا) فاجابه الناس ، ثم سار علي بجموعه حتى دنا من البصرة ، فاخذ يرسل اليها رسله رجاء ان يتم الصلح ، وظل هذا شأنه ثلاثة ايام ، ولكن جهوده كلها باءت بالفشل ، واذ ذاك زحف بجنده وعلى ميمنته الاشتر وعلى ميسرته عمار بن ياسر ، والراية العظمى في يد ابنه محمد بن الحنفية ، وظل من الصبح حتى الظهر وهو يدعو

عائشة وشيعتها الى الصلح ، ولما لم ينل ما يبتغي ، وقعت الحرب بين القومين ، وعلينا ان ننسى ، ان قتلة عثمان كانت لهم اليد الكبرى في احباط مساعي الصلح خشية ان تجز اعناقهم جزاء جريمتهم .

وفي اثناء الحرب (وتسمى بحرب الجمل) اقبل الزبير حتى دنا من ابنه عبد الله وطلب اليه ان يفر معه فابى ، وعندها سار الزبير الى البصرة ، وحاول طلحة ان يلحق به ولكن مروان بن الحكم رماه بسهم اصاب ركبته واماته ، وهكذا كان حظ الزبير فانه ما كاد يبتعد بخدمه عن البصرة حتى لحق به رجل يسمى (عمرو بن جرموز) فقتله وجاء بسيفه ودرعه الى علي .

وظلت الحرب حامية الوطيس حتى عقر جمل عائشة ، وعند ذلك دعا علي محمد بن ابي بكر وطلب اليه ان يسير باخته الى المدينة ، ثم ارتحل علي الى الكوفة بعد ان ولي على البصرة عبد الله بن عباس .

٤ — علي ومعاوية : —

ولما انتهى علي من امر عائشة ، بعث رسولا الى معاوية يسمى (جرير بن عبد الله البجلي) ليأخذ له البيعة منه ، ولكنه عاد بعد مدة يحدث عليا عما رأى من نقمة اهل الشام وحزنهم على عثمان ورغبتهم في الاخذ بثأره ، فلم ير علي بدا من السير لقتالهم وكذلك سار معاوية باهل الشام للشأن نفسه ، والتقى الجيشان في سهل صفين (بالعراق) وقبيل ان تبدأ الحرب ارسل علي ثلاثة من رجاله الى معاوية ليطلبوا منه الطاعة وهم : بشير بن عمرو الانصاري ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وشبث بن ربعي التميمي . ولكنهم باءوا بالفشل ، وعلى الرغم من ذلك فان عليا لم ييأس من الصلح ، والدليل على هذا انه ارسل الى معاوية وفدا آخر مؤلفا من (عدي بن حاتم ، ويزيد بن قيس الارحبي وزياد بن خصفة ، وشبث بن ربعي التميمي) وباءت مساعي هؤلاء بالفشل

ايضا ، ولذلك لم يعد بد من نشوب الحرب وهكذا كان ، فقد اضطرم اوارها في يوم الاربعاء من شهر صفر سنة (٣٧ هـ) (اما حرب الجمل فكانت في جمادى الثانية سنة ٣٦ هـ) .

وفي حرب صفين اظهرت جيوش علي من الشجاعة الشيء الكثير ولا سيما الاشتر النخعي الذي اغار على حرس معاوية فروعهم ، حتى ان معاوية نفسه كاد ان يفر لعظم رعبه لولا انه تمثل بقول ابن الاطنابه فثبت :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي

ولم يحل الليل دون استمرار القتال ، ولما بزغ الفجر ، وفيما كانت جيوش علي تجني ثمار النصر ، رفع جند معاوية مصاحفهم ، اشارة الى انهم يرغبون في الرجوع الى كتاب الله ، ولكن هذه الحيلة لم تنطل على علي فقد خطب جنده قائلا :— (يا عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم فان معاوية وعمرو بن العاص وابن ابي معيط (وغيرهم) ليسوا باصحاب دين ولا قرآن ، انا اعرف بهم منكم ، قد صحبتهم اطفالا وصحبتهم رجالا فكانوا شر اطفال وشر رجال ، انهم ما رفعوها الا خديعة ودهاء ومكيدة) ولكن جنده لم يدركوا ما رمى اليه ، ولم يرغوا في ادراكه ، وراحوا يصرخون في وجهه طالبين اليه ان يجيب القوم الى رغائبهم وأن يوقف الاشتر النخعي عن المضي في قتاله ، فلم ير بدا من اجابتهم الى امانيهم ، وكيف يستطيع ان يرفض طلبهم وهم يهددونه بالخروج عليه او سفك دمه اذا تقاعس .

وهكذا انتهى القتال واتفق القومان على انتخاب حكمين يحكمان في الامر ، فانتخب اهل الشام عمرو بن العاص واهل العراق ابا موسى الاشعري ، ولكن عليا لم يرتح لانتخاب ابي موسى ذلك لانه يقول (لست اثق برأي ابي موسى ولا بحزمه ، ولكن اجعل ذلك لعبد الله بن عباس). بيد ان اهل العراق

ابوا الا ان يكون أبو موسى حكمهم ، وعلى هذا كتب علي ومعاوية عهدا فيما بينهما ، وسار الاول الى الكوفة والثاني الى دمشق ، وباتا ينتظران نتيجة التحكيم ، واجتمع الحكمان بعد ذلك في (اذرح) قرب (دومة الجندل) في شهر رمضان سنة ٣٨ هـ ، فقدر لدهاء عمرو ان يتفوق على بساطة ابي موسى وورعه ، وبذلك اسقط ابو موسى صاحبه ومعاوية معا ولم يسقط عمرو الا علياء وبذلك آل الفوز الى معاوية .

٥ - علي والخوارج :—

لما رفع جند معاوية المصاحف على رماحهم ، يطلبون بذلك الرجوع الى كتاب الله ، تردد علي كما ذكرنا ، ولكن رهطا من اتباعه ومنهم الاشعث بن قيس وزيد بن حصين الطائي ابوا الا النزول عند رغائب اعدائهم ، فهؤلاء يعتبرون الفريق الاول من الخوارج ، اما الفريق الثاني فهم الذين طلبوا الى علي ان يرجع عن خطأه وان يمضي في حرب معاوية ، فلم ير علي من الشرف ان ينكث ما وعد ، واذ ذاك اجتمع الفريقان من الخوارج وساروا الى قرية قريبة من الكوفه تسمى (حروراء) وقد سمو بالحرورية نسبة اليها ، وكثرت اسماؤهم بعد ذلك فسماهم البعض (بالمحكمة) اي الذين يقولون (لا حكم الا لله) والبعض الاخر (بالشراة) اي الذين باعوا انفسهم لله ، وعلى العموم فاسمهم الشائع هو (الخوارج) وقد جاءهم من خروجهم على علي .

وتفاقم شر هؤلاء ولا سيما بعد مسيرهم الى قرية على نهر الدجلة تعرف (بالنهراوان) ففكر علي اذ ذاك ان يعيدهم الى صفوفه ، وارسل بن عمه عبدالله بن عباس لهذه الغاية ، ثم سار اليهم بنفسه ، ولكنه لم يستطع ان يجتذب اليه الا عددا ضئيلا منهم ، واذ ذاك لم ير بدا من الايقاع بهم ولا سيما بعد ان اتخذوا النهب والقتل مهنة لهم ، فحاربهم حربا ضروسا ، فتك بهم فيها اشد

الفتك ، ولكن علياً لم يكد يصل الى الكوفة بعد ذلك حتى شعر بما في جنده من انحلال وما فيهم من تخاذل فلنسمعه وهو يقول لهم (قبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى ، يغار عليكم ولا تغيرون ، وتغزون ولا تغزون ، ويعصى الله وترضون ، ياأشباه الرجال ولا رجال وددت أن الله اخرجني من بين اظهركم وقبضني الى رحمته من بينكم) .

وقضى علي ايامه في حروب الخوارج يقاتل منهم كل يوم فئة و كل حين زعيما.

٦ — مقتل علي : —

وتفاقم حقد الخوارج ، ليس على علي فحسب ، بل على معاوية وصديقه عمرو ايضا ، ولذلك قر رأى بعضهم على البطش بهم تخليصاً للمسلمين مما هم فيه ، واتفق ثلاثة منهم كل لواحد ، فعبد الرحمن بن ملجم لعلي ، والحجاج بن عبدالله الصريمي لمعاوية ، وعمرو بن بكر التميمي لعمرو بن العاص ، وجعلوا يوم التنفيذ اليوم السابع عشر من رمضان سنة ٤٠ ﻫ ، وقد تمكن عبد الرحمن بن ملجم من تحقيق امانيه بمساعدة اثنين من شيعته يدعيان (سبيب وورادان) فقد هجم على علي وهو يدعو الناس الى الصلاة وصرخ في وجهه (الحكم لله لا لك ياعلي ولا لاصحابك) وضربه بسيفه على مقدمة رأسه فمات بعد يومين ، اما الاثنان الآخران اللذان ذهبا لاغتيال معاوية وعمرو فقد فاز احدهما بجرح معاوية جرحاً بسيطاً ، وفاز ثانيهما بقتل رجل آخر يسمى (خارجة بن حذافة) وهو صاحب شرطة عمرو .

٧ — فرق الخوارج وتعاليمهم : —

قتل الخوارج علياً وقتلوا كثيرين غيره ، ولم يكن للدم المطلول أن يقتلع جشعهم وظل هذا شأنهم في العراق حتى تبوأ الولاية فيه (المغيرة بن شعبه ، وزياد بن ابيه ، وعبد الرحمن بن عبد الله ، وعبدالله بن زياد) فعمل

هؤلاء كل في اثر الآخر على ابادة الخوارج واخماد ثوراتهم ، ولما ولي الحكم يزيد بن معاوية وثار عليه عبد الله بن الزبير انتهز الخوارج الفرصة وانضموا الى ابن الزبير ثم انتهى بهم الامر الى نبذه لجهره بانه ولي عثمان وعلي ثم آل امرهم فيما بينهم الى الانقسام ولكنهم ظلوا عاملا يهدد كيان الامويين والعباسيين مدة من الزمن طويلة ، ولعل ثورتهم في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي اعظم ماأتوه في عصر الدولة الاموية ، ولما آل الحكم الى العباسيين ثار الخوارج في عهد المنصور فاخضعهم ثم ثاروا في عهد المعتمد فاخضعهم ايضاً ، ثم ثاروا في الموصل سنة (٢٧٠ هـ) فاخضعوا نهائياً .

وكانوا في اول امرهم عشرين فرقة ولكنها تزايدت فيما بعد وأهمها :—

(ا) — الازارقة :—

وهم اصحاب نافع بن الازرق ، ولهم شأن في التاريخ فقد حاربوا عمال بن الزبير فى العراق ، ولكن المهلب بن ابي صفرة قائد عبد الله دحرهم وفتك بهم ، ولما قتل بن الزبير وتبوأ الحكم عبد الملك بن مروان ، انضم المهلب اليه وبعث عبد الملك بالمهلب مع عامله العراق الى محاربة الازارقة فشتتت جموعهم فيما وراء العراق .

(ب) — النجدية (النجدات) :—

وهم اصحاب نجدة بن عامر ، وكان موطنهم اليمامة فقاتلهم عبد الملك حتى شتت جموعهم .

(ج) — الاباضية :— وهم اتباع عبد الله بن اباض التميمي ولهم فى عصرنا اتباع فى المغرب .

(د) — الصفرية : وهم اتباع زياد بن الاصفر .

وتشترك فرق الخوارج كلها فى التعاليم التالية وهي :—

(١) — صحة خلافة ابي بكر وعمر ، وصحة حكم عثمان في سنيه الاولى، وصحة حكم علي منذ اخذه الخلافة حتى قبوله التحكيم ، وكفر ابي موسى الاشعري وعمرو بن العاص.

(٢) — المسلمون يختارون حاكمهم ، وليس من الضروري ان يكون قرشياً ، ولكن عليه ان يخضع لاوامر الله.

(٣) — الدين هو الاعتقاد بالله والعمل باوامره .

وفي غير ما ذكر فأن بين فرق الخوارج تبايناً يبدو فيما يأتي : —

(١) يعتقد الازارقة ان المسلمين كلهم كفار ما عداهم ، وانه يحق لهم ان يغدروا بمن يخالفهم وهم يكفرون بمن يتقاعس عن الحرب اذا كان قادرا عليها ، ويقولون بان اطفال مخالفيهم في النار ويحل قتلهم ، وقد انكروا رجم الزاني

«٢» — يعتقد النجدية «النجدات» ان المخطىء بعد ان يجتهد معذور ، وان الدين معرفة الله ورسوله ، وان جريمة الكذب اشد وطأة من شرب الخمر والزنا .

«٣» — يعتقد الاباحية بان لا بأس من التزوج من مخالفيهم ، وانه يجوز ان يتوارث الخارجي وغيره .

٨ فرق اخرى : —

ومن فرق الخوارج غير ما ذكرنا من الفرق التالية وهي : — العجاردة ، الميمونة ، الشبيبية ، الحمزية ، الحازمية ، المعلومية مع المجهولية ، الصلتية ، الاخنسية ، المعبدية ، الشيبانية ، الشبيبية ، الرشيدية ، المكرمية ، الحفصية ، البزيدية ، الحارثية ، الاصومية ، البيهسية ، اليعقوبية ، الفضلية ، الشمراخية ، الضحاكية.

٩ — الخاتمة : —

جئت في هذا المقال بوصف موجز للمأساة التي انتهت اليها حياة كل من

الخليفتين عثمان وعلي ، (رض) ثم اشرت الى العوامل التي عملت على ظهور الخوارج .

ان الكاتب والقارىء معا يشعر ان بالاسى يقض منهما القلب وهما يمران يبصرهما على هذه النكبات التي قدر للعرب ان يتجرعوا منها الشقاء ولكنها مع ذلك صور ترينا ما تجني الامة من الانقسام وما تحصده من التفرق، وتبين لنا كيف تطوح المطامع بالملك وتعبث بالسلطان ، فهي عظة ، وعلينا ان نستمد منها قبسا يضيء لنا طريقنا في نهضتنا عسى ان يقينا الله من التاريخ مآسي التاريخ .

نابلس : المدرسة الصلاحية الثانوية — راضي عبد الهادي

اهم مصادر هذا المقال :

١ — العقد الفريد لابن عبد ربه

٢ — تاريخ الطبري

٣ — الاخبار الطوال للدينوري

٤ — دائرة المعارف لوجدي

٥ — فجر الاسلام لاحمد امين

٦ — معاوية بن ابي سفيان للنصولي

٧ — الجمعيات السرية لعنان

٨ — عصر المأمون للرفاعي

٩ — تاريخ الاسلام للنجار

١٠ — الامم الاسلامية للخضري

درس عن الشعير

الادوات المطلوبة للدرس : بعض نباتات شعير ذات ستة صفوف واخرى ذات اربعة صفوف مع جذورها . (اي ان سنبلة النوع الاول تحوي ستة صفوف من حبوب الشعير وسنبلة النوع الثاني تحوي اربعة) وحفنة من حب الشعير .

الشعير مثل القمح والحنطة من فصيلة الحشيش ويزرع للاستفادة من حبه . وقد عرف الرومان القمح والشعير من بين الحبوب فقط . واعتقدوا ان الالهة سرس « وهي ابنة زحل والهة الحنطة والحراثة » كانت تعتني بهذين النوعين من الحبوب . وفي ذاك الزمن لم يعرف الرومان البطاطا ولا الذرة ولا الشوفان فكان الطلب على القمح والشعير كثيرا . وبما ان محصول الفدان الواحد من الشعير اكثر من القمح بالوزن اهتم عامة الرومان بالاول وكان طعامهم ، وكانوا يعتبرون الشعير مقدسا فصوروا سنابله على قطع النقود ورسموها على شعر تمثال الالهة سرس .

غير ان الرومان هم ليسوا اول من اعتنى بزراعة الشعير بل يرجح ان هذا النبات اصله من الشعير البري الموجود في غربي اسيا وقد اعتنى بزراعته الانسان في هذه البقعة اولا ثم نقل الى اوربا بطريقة لا نعلمها .

﴿ ما هي صفات الشعير الزراعية ؟ ﴾

امسك بعض نباتات شعير وحرك جذورها في ماء ضحل الى ان تزيل التراب عنها . ثم افحص ترتيب وشكل هذه الجذور تر ان نباتة الشعير تخلو من الجذر الرئيسي ولها عوضا عنه كتلة جذور شعرية خشنة تمتد من قاعدة الساق رأسا . وتلاحظ في بعض النباتات ان الجذور تنشأ على العقد فقط .

وتمتد جذور الشعير رأسيا الى اسفل وافقيا قرب سطح الارض . واذا فحصت اطراف الجذور رأيت رؤوسها مقطوعة وخالية من الجذور الدقيقة وربما تفنى هذه الاجزاء في التراب بعدما تنضج النباتة لانها لم تعد بحاجة اليها . ومع ان جذور نباتة الشعير تؤلف مجموعة كبيرة فهي لا تخترق التراب الى اسفل قدر ما تفعل جذور سائر الحبوب ومن اجل ذلك يحتاج نبات الشعير الى تربة رطبة السطح ذات مناخ معتدل الجفاف دافئا . وبما ان سطح التربة يدفأ في الربيع قبل الطبقات السفلى يفرخ الشعير باكرا ويساعده على ذلك كثرة الغذاء في سطح التربة لتعرضه للحرارة والهواء .

واذا انتقلنا من الجذور الى اعلى نشاهد مجموعة من السوق كل منها اسطواني الشكل ضارب الى الصفرة صقيل السطح . قس اطوال واقطار عدد من السوق وجد نسبة طول كل منها الى قطره وربما تجد ان معدل طول الساق الواحد يزيد ٢٠٠ مرة على قطره . ومع ان جذع النباتة دقيق فانه يحمل على رأسه سنبلة مثقلة بالحبوب وتمايل ذهابا وايابا بتأثير الريح قابل وزن ٢-٣ بوزن السنبلة . ولنفحص الان ساقا لنرى كيف جعلته الطبيعة يحمل هذا الحمل الثقيل على رأسه. عا العقد على كل جذع وافحصها تر كل واحدة منتفخة والسافات التي بينها مستقيمة وتر الساق منحنيا قليلا عند العقدة وهي منتفخة في الجهة الواحدة اكثر من سواها على شكل الركبة . وهذه العقدة صلبة وتكسب الساق متانة . اقطع الساق بالعرض تجده مجوفا دقيق الجدار . اقطعه طولا وابسطه تجد جداره الداخلي ناعما فضيا ومتماسكا . اكسر الجذع واكشف عن الالياف فلا تجد اليافا فرديه دقيقة ومتينة كما في الكتان بل تجده مندمجا ورقي التركيب وهو مرن وقابل للحني . احنه على شكل زاوية قائمة تجد انه انطبق في نقطة الحني غير انه يعود الى شكله الاصلي اي انه يستقيم بعد زوال تأثير الضغط عليه فهو يشبه انبوب

المطاط . وبخاصة رجوعه هذه الى شكله الاصلي اذا تأثر بمؤثر بعد زوال هذا المؤثر لها قيمة كبرى عند الفلاح وذلك لان الشعير اذا رقد وهو على وشك النضج من تثاقله بالمطار وهبوب الريح يعود فينتصب ثانية بعد بخر الماء عنه ويسير في نموه الطبيعي . ولو لا هذه الخاصة في الشعير لتوقف صعود الغذاء في الساق بعد انحنائه ونقص المحصول نقصانا كبيرا .

لاحظ طول ورقة الشعير وعرضها . فهي عريضة وتشبه الشريط وتنتهي برأس مخروطي .

انظر الى العروق المتوازية المستقيمة التي تمتد من قاعدة الورقة حتى رأسها . فهي هيكل الورقة واقنية لنقل الغذاء . والقسم الانبوبي من الورقة ويدعى الغمد ينشأ على عقدة ويغمر الساق الى ارتفاع بضع بوصات فيكسبه متانة ثم ينشق في الجهة المقابلة لكف الورقة الذي يؤلف طرفه العلوي . وعندما يكون الغمد والكف مخضرين يجهزان نشأ للنباتة .

والان نفحص سنبلة شعير ذات ستة صفوف ٠ عد صنوف الحبوب الطولية في السنبلة تجد ثلاثة على كل جهة اي اثنين على كل حافة ٠ ازل بسكين عنقودا يتألف من ثلاث حبات من جهة واحدة تجدها ملتصقة من قاعدتها بغصن قصير جدا وينتهي رأس عرق كل منها بشعرة طويلة . امسك شعرة وادلكها بالاصبع نحو رأسها اولا ثم نحو قاعدتها ٠ ويرجح ان هذه الشعرة تحفظ الزهرة ٠ امسك هذه الشعرة وانظر اليها في الجهة المقابلة للضوء تر فيها ثلاثة صفوف او اكثر من الاشواك متجهة الى الخارج والاعلى ٠

يأخذ النبات غذاءه من التراب على شكل محلول خفيف جدا ومن اجل ذلك تمتص النباتة ماء زيادة على ما تحتاج اليه بكثير ٠ ويخرج الشعير قسما من هذا الماء بواسطة الشعر الذي في غلف حبوبه ويرجح ان هذا الشعر يقي النبات من بعض

الحيوانات . وكل من يشتغل بالشعير يعلم كيف يزحف هذا الشعر داخل الثياب . وعندما تقع الحبة على الحشيش تبقى هذه الشعرة الى اعلى وتساعد على دفع الحبة داخل التراب بتمايلها من تأثير الريح . جرب ان تخلع الغلاف عن الحبة تجد انه ملتصق بها بقوة ويبقى عليها بعد الدراسة . ازل الغلاف هذا واشرح شكل ولون الحبة التي داخله . قطعها عرضا ولاحظ داخلها . جرب ان تحفر ما بداخلها بدبوس فماذا يشبه ؟ قد استعمل طحين الشعير في الازمان الغابرة بكميات كبيرة .

ازل الان حبوب صف واحد من السنبلة وضعها على المنضدة بالترتيب تجد ان الغلف السفليه تخلو من الحبوب وتظهر كانها تسند الحبوب التي تليها الى اعلى كما ان هذه تسند بدورها الحبوب التي فوقها . ومن الملاحظة تجد ان الحبوب التي في وسط السنبلة اكبر من التي في القاعدة والرأس . وبعد قطع كل الحبوب من السنبلة يبقى ساق متعرج . والزهرة التي تفتح حين ظهور السنبلة بسيطة وتتألف من ثلاثة اعضاء تذكير وعضو تأنيث واحد وهي تلقح ذاتها فيقع غبار اللقاح من اعضاء التذكير على عضو التأنيث وتنتج حبة .

قياسات جوية

عن مختبر الكلية العربية

أعلى وادنى درجات الحرارة ومعدل سقوط المطر في الاشهر الاتية :

سنة ٣١ — ٣٢	اعلاها	ادناها	سقوط المطر بالبوصات
تشرين أول	٢٥،٨	١٧،٥	
تشرين ثاني	١٨،٦	١٣،٣	١،٢٦
كانون أول	١١،٧	٧،٧٥	٤،٩٣
كانون ثاني	١٠،٣	٧،٢	٢،١٩
شباط	١٣،٩	٧،٣	٤،٢٧

اصبح مجموع ما سقط من المطر في هذه السنة حتى (٢) اذار سنة ١٩٣٢ ١٢،٧١ بوصة ويقابله في السنة الماضية حتى التاريخ نفسه ١٥،٥٩ بوصة

سقط الثلج مساء الاحد في ٧ شباط وبلغ ارتفاعه ١،٢ بوصة . وبقي على الارض في بعض الاماكن مدة اسبوع .

فهرست

ص		
١	مشكلة تدريب المعلمين	
٦	الحرف والصناعات	بقلم المستر ستيوارت
١١	ما الغرض من درس الجغرافيا	للسيد عبد اللطيف الطيباوي
١٨	ان الحياة جدية لكنها لعوبة	للسيد ابراهيم مطر
٢٢	من الكاب الى القاهرة	
٢٧	العلوم الطبيعية وغايتها الثقافية	للاستاذ احمد طوقان
٣٦	تدريس التاريخ في المدرسة الثانوية	
٤٤	حياة الحشرات	
٤٧	الحكم الجمهوري عند الرومان	للاستاذ وصفي العنبتاوي
٥٥	الحياة الدستورية في القرون الوسطى	للاستاذ ضياء الدين الخطيب
٦٠	صفحة من مآسي حياة علي بن ابي طالب (رض)	للسيد راضي عبد الهادي
٧٥	درس عن الشعير	
٧٩	قياسات جوية عن مختبر الكلية العربية	